الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم

كلية الأدب العربي والفنون

قسم الدراسات الأدبية

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في اللغة العربية وآدابها

تخصص: الدراسات الأدبية المقارنة

جدلية التأثير و التأثر بين رسالة الغفران و الكوميديا الإلـهية

إعداد:

- مرزوقي حورية

إشراف:

د. معمر عبد الله

السنة الجامعية:2019-2020

بِسْمِ اللَّـهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ

قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي

صدق الله العظيم

شكر وإهداء

الحمد والشكر لله بدءا وختاما، على نعمة التوفيق والسداد و الذي بفضله وحده تتم الصالحات

وكل الشكر لمن لها الفضل بعد الله قرة عيني ونورها والدتي التي استجدي منها بركة الدعوات وأختي الوحيدة وتوأم روحي التي ساندتني في مسيرتي

والشكر الجزيل للأستاذ الفاضل معمر عبد الله لإشرافه على هذه الرسالة

و كل الشكر والعرفان لأساتذة قسم الأدب العربي وموظفيه بجامعة مستغانم وعلى وجه الخصوص الأستاذة مسعودي لها مني كل الاحترام والتقدير لدعمها ونصائحها القيمة

وشكر خاص لسمير الناطور على مساندته وتشجيعه لي في انجاز هذا العمل

لهؤلاء جميعا أهدي هذا العمل مع فائق التقدير والاحترام

وأرجو من كل من يستفيد من هذه الدراسة الدعاء بالرحمة لروح والدي الطاهرة

مقدمة

استفتاحا باسمه، واستنجاحا ببركته، والحمد لله المبتدئ بالنعم، المنفرد بالقدم، ولي الحسنات والذي بنعمته تتم الصالحات وصلواته على الحبيب المصطفى صلاة ترضيه وعلى آله وصحبه ومن ولاه إلى يوم الدين وبعد ::
لعل قضية التأثير والتأثر من أشق القضايا التي يواجهها الأدب المقارن على الخصوص عندما يعرض لمسألة يرى فيها شبها مع مسألة أخرى قريبة منها في أدب آخر، من نوع الشبه الذي يوجد بين رسالة الغفران لأبي العلاء المعري و الكوميديا الإلهية لدانتي أليغييري. حيث يعتبر العملان مثالان على المنجزات الإبداعية التي شكلت بصمة في مجالها، وعلامة فارقة في حقلها، فهما منتجان تأثرا بمعطى ثقافي إسلامي واحد، وهو قصة المعراج ، التي أفادا منها و هضماها، ثم نحتا منها نماذج إبداعية جديدة ، لها تفردها وخصوصيتها؛ و وإن كانت رسالة الغفران هي المبلور الأول لتلك الصيغة الإبداعية الموروثة عن معراج النبي -صلى الله عليه وسلم- فإن الكوميديا الإلهية نموذج عن عبقرية التأثر التي لا تنفي الذاتية الإبداعية، والخصوصية الحضارية، لكنها تستأنف الانفتاح على معطيات ثقافية متنوعة المشارب، لتعيد إفرازها في أشكال ثقافية خاصة. فالكوميديا الإلهية و إن كانت مثالا خصبا وعبقريا للتأثر، إلا أنها ليست إعادة اجترار، بل منجز إبداعي استطاع أن يستفيد من تراث الحضارة الإسلامية ولا سيما رسالة الغفران ، وهذا التأثر له مواطن تشابه ومطابقة ، كما أن فيه ملامح من التأثر والمقاربة التي تصدرت هذه الدراسة.

وتكمن أسباب اختياري لهذا الموضوع في إبراز تأثر الآداب الأوروبية بالأدب العربي وبالثقافة الإسلامية من خلال الكوميديا الإلهية وحقيقة مصادرها المربية والإسلامية.

أما أهمية الموضوع فتكمن فيما يلي:

التعريف بالقطبين اللذين خلدا اسميهما من خلال انجازاتهما الإبداعية .

محاولة الوصول إلى تفسيرات تبرر التشابه الواضح بين غفران المعري و كوميديا دانتي وكيف أن للكوميديا أصول عربية وإسلامية لا مجال للشك في حقيقتها.

فما مدى تشابه الكوميديا الإلهية برسالة الغفران ؟

وما هي العوامل التي ساهمت في هذا التأثير والتأثر الصارخ بينهما؟

أما عن هيكلة البحث قد اشتمل على ثلاثة فصول فضلا عن مقدمة ومدخل وخاتمة.

تعرضت في المدخل إلى إعطاء نظرة عامة عن ماهية التأثير والتأثر في الأدب المقارن أما الفصل الأول فتركز البحث فيه عن حياة أبي العلاء المعري و أدبه حيث قسمته إلى

ثلاث مباحث تطرقت في الأول إلى مسيرة حياة المعري و أهم ما ميز عصره من أحداث اجتماعية و سياسية و أهم مؤلفاته التي أثرت التراث الأدبي. أما المبحث الثاني كان الحديث فيه عن رسالة الغفران وما تضمنته رحلة ابن القارح إلى السماء بينما كان المبحث الثالث عن أهم تناصات المعري مبرزة أهم المصادر الغربية والعربية التي بذا أثرها واضحا في رسالته.

أما الفصل الثاني كان عن حياة دانتي أليغييري و أدبه و احتوى على ثلاث مباحث: الأول عن مسيرة حياته و عصره و أهم مؤلفاته. والثاني عن الكوميديا الإلهية بأجزائها الثلاث: الجحيم، المطهر و الفردوس .أما الثالث عن أهم مصادر دانتي الغربية والعربية التي بدا تأثيرها في كوميدياه .

أما الفصل الثالث كان البحث فيه مركزا على تأثير رسالة الغفران في الكوميديا الإلهية من خلال ثلاث مباحث عقدت أولا مقارنة بين الغفران والكوميديا لالتماس مواطن الشبه التي التقى فيها العملان. ثم في المبحث الثاني استعرضت أهم آراء المستشرقين والنقاد العرب حول أصول كوميديا دانتي العربية والإسلامية .لأتطرق بعدها في المبحث الثالث لأهم العوامل و المنافذ التي ساهمت في إيصال التراث الشرقي إلى أوروبا عموما و تسليط الضوء على ما يؤكد اطلاع دانتي على الآداب العربية و الإسلامية وتأثره بها.

ولقد اعتمدت في دراستي على منهجين:

المنهج التاريخي و يتمثل في تاريخ كل من المعري ودانتي في عصر كل منهما و تحديد أصول رسالة الغفران و الكوميديا الأوروبية منها والإسلامية.

و المنهج المقارن والذي اعتمدت عليه في تحديد مواطن التأثير والتأثر بينهما.

وللإلمام بالموضوع اعتمدت على مجموعة من المصادر والمراجع أهمها:

رسالة الغفران لأبي العلاء المعري ، الكوميديا الإلهية الجحيم لدانتي ترجمة حسن عثمان

الكوميديا الإلهية لدانتي ترجمة حنا عبود، الأدب المقارن لغنيمي هلال، تأثير الثقافة الإسلامية في كوميديا دانتي لصلاح فضل وغيرها من المراجع و الدراسات السابقة الملمة بالموضوع.

وكأي بحث لا يخلو الأمر من بعض الصعوبات التي واجهتني في خضم إنجازه لعل أهمها جائحة كورونا وما نتج عنها من شلل عام في الحياة الاجتماعية مما أدى إلى

استحالة الالتحاق بالمكتبات و صعوبة الاتصال بالأستاذ المشرف ومع ذلك تمكنت بفضل الله تعالى من إنجاز هذا العمل لتقديم دراسة في متناول الجميع.

وختمت بحثي هذا بخاتمة أبرزت فيها أهم النتائج المتوصل إليها.

مدخل

التأثير والتأثر في الأدب المقارن :

إن الاحتكاك بين الآداب ينتج عنه أحيانا ما يسمى بالتأثير، بغض النظر عن كونه متبادلا أم لا، يبقى الإشكال مطروحا بشأنه في ما مدى العلاقات التي تتبادلها الآداب من وجهة نظره. إن دراسة ظواهر التأثير والتأثر هي من اختصاص الأدب المقارن ، وللأدب المقارن تعاريف متعددة تتفق أحيانا وتختلف أحيانا أخرى ولتجنب اللبس في تعريفه ينبغي أن نشير بدأ إلى أن مدلوله يظل تاريخيا ،فالأدب المقارن " هو العلم الذي يدرس مواطن التفاعل والتلاقي بين الآداب في لغاتها المختلفة في ماضيها وحاضرها وما نتج عنه من تبادل حالات التأثير والتأثر في المحاور الرئيسية" (1) كالأجناس والمذاهب الأدبية وتياراتها الفلسفية أو في شأن موضوعات ومواقف وشخوص معالجات الأدب وكذلك في ما يخص أمور الصياغات الجمالية وجملة القواسم المشتركة أو المتشابهة . إن الحد الفاصل بين الآداب يتمثل أساسا في اللغة بالمعنى الواسع للمصطلح وهي بالتحديد ما يجب قراءته ومعالجته في تناول حالة التأثير والتأثر والمقارنة في الأمر وفق منطق تعاقب الحدث والواقعة المتناولة ، إذ كل أدب قومي بلغة)بعينها(لابد أن يلتقي مع الآداب العالمية ويحمل تاريخ من وقائع تبادل العلاقة – إفادة واستفادة - ولا يقتضي ذلك أن يكون المؤثر والمتأثر بين الآداب أو الأجناس الأدبية من بيئة واحدة وإلا لاقتضى تحويل دراسة التأثير والتأثر داخل الأدب إلى نوع من السرقات الأدبية ، فالأدب المقارن هو دراسة أدب وتأثره وتأثيره في أدب أجنبي ودراسة تبيان المسالك لهذا التأثير .فالأدب المقارن يمكن أن يعرف بأنه : العلم الذي يبحث عن التأثير والتأثير في الأدب على جميع المستويات ، سواء أكان ذلك بين كاتب وكاتب أو بين تيار فكري وتيار فكري آخر ، كما أنه يبحث في انتقال الأنواع الأدبية من أمة إلى أمة ، فالأخذ والعطاء بين الشعوب عبر مختلف الأزمنة ورغم تباعد الأمكنة .

1- غنيمي هلال ، **الأدب المقارن** ، بيروت ، دار العودة ، ط (1978) 3 ، ص 14

فماذا يقصد بالتأثير والتأثر في الأدب ؟

لغة : كما جاء في " لسان العرب " لابن منظور، أن التأثير بصيغه الاصطلاحية المتعددة نابع من وجود أثر ما للدلالة عليه ، والتأثير هو إبقاء الأثر في الشيء، وأثر في الشيء ترك فيه أثرا ، وبقية الشيء أثره بغض النظر عن التغيير الذي لحق به، فلم يبقى منه إلا ما ذكر والخروج في أثره أي بعده بمعنى أن الأثر يقع عاقبة الفعل ويأتي بعده ، والتأثير في الشيء من إبقاء الأثر وتركه فيه للدلالة على وجوده (1) بالنظر لطبيعة السياق الذي ورد فيه ، فإن التأثير وأنماط تجليه بمعانيه اللغوية الواسعة يحيلنا على وجود أثر لا يظهر جليا إلا إذا تعقبناه .

" إن فعل أثر يعني لغة ترك في الآخر أثرا أي أن الفاعل هو الطرف الفاعل و إيجابي ، أما التأثر فهو التعرض للتأثير ، تأثر به يعني لغة : حصل منه على أثر أو ظهر فيه الأثر . والتأثر هو الانفعال أي ردة فعل على مؤثر خارجي وهو سلوك سلبي بينما التأثير فهو أمر ايجابي ضمنا خلافا للتأثر ، وبذلك يتحول طرف المؤثر إلى الأصل أو المنبع أو المصدر ، ولذلك هو الطرف الأصيل ، خلافا للطرف المؤثر ، فهو التابع المقلد الذي يفتقر إلى الأصالة " (2)

أما اصطلاحا: فالتأثير والتأثر في اصطلاح بعض الدارسين هو فعل انتقائي ينشد التغير مع الحفاظ على الجوهر في الآن ذاته، كما أنه لفظا يوحي بأن العمل الأدبي هو محصلة حملة من العناصر أو الشروط المتلاقية. ويعتبر التأثير والتأثر هو مفهوم في صلب الأدب المقارن بمناهجه كافة ، وإن تفاوتت في تحديد آفاقه أو اختلفت فيه وتنازعت وهو مساران مختلفان يمثل كل واحد معنى ودلالة ، فالتأثر يكون من المرسل إلى المرسل إليه أو المتقبل ، الذي تكون مصادر تأثره من آداب أجنبية عن أدبه القومي ، وفي لغات أجنبية ، وهو يتأثر بكتاب أو أديب أو أدب بكامله ، وليس ضروريا أن تكون هذه المصادر من نفس النص المدروس ، وتكتشف آثاره وإشعاعاته عند الآخرين وتسربه إلى آداب أجنبي (3)

1-ابن منظور ، **لسان العرب** ، دار صادر ، بيروت ، (2010)

-2عبده عبود ، **الأدب المقارن** :**مشكلة آفاق** ، دمشق ، اتحاد الكتاب العرب. (1999) ص 29

-3يوسف بكار وخليل الشيخ ، **الأدب المقارن** ، الشركة العربية المتحدة للتسويق والتوريدات ، (2010) ، ص63

وعليه فإن دراسة التأثير والتأثر هي العماد الأساسي في دراسة الأدب المقارن وهذه الدراسة اعتمدت بصورتها الشاملة على الأدلة التاريخية لوجود علاقات بين الأمم المختلفة جغرافيا وثقافيا وسياسيا وعقائديا ، وعلى الأدلة الصارمة التي تؤكد وجود إشارات وملامح تأثر أدب ما بأدب آخر مما يبرهن على بطلان مقولة " الاكتفاء الذاتي للآداب القومية " واستقلالية تلك الآداب وتفردها . فليس هناك أدب قومي لم يتأثر بالآداب القومية الأخرى بصورة من الصور ، فقد " شكلت دراسات التأثير والتأثر ردا على دعاة التعصب القومي في الأدب الذين يزعمون أن أدبهم أصيل بصورة مطلقة وخال من المؤثرات الغريبة ، فإن لأصالة الأدب القومي و خصوصيته وتفرده حدود فقد دلت هذه الدراسات على أن هذه الأمور نسبية وأن الآداب في حالة تفاعل وتبادل، وأخذ وعطاء، واستيراد وتصدير رغم تباعد الزمان والمكان" (1) ويمكن القول بالإجمال : إن أسلوب الكتابة يتألف من عناصر ثلاثة : الإبداع الشخصي ، والتقليد القومي ، والمؤثرات الوافدة أو الأجنبية التي تبدو قوية أحيانا وضعيفة أحيانا أخرى ،كما قد يحدث تأثير كاتب بآخر في المواقف التي تتصل بالفكرة والموضوع، كما قد يحدث التأثير في الأساليب والصور البيانية والخيالية، ومع هذا التأثر تبدو للكاتب المتميز أصالته ويبدو طابعه الخاص الذي يعرف به . يقول الأستاذ عباس محمود العقاد: "إن الأمم الشرقية و الغربية جميعها دائنة و مدينة في تراث الحضارة الإنسانية. وأنه ما من امة لها تاريخ مجيد إلا و قد أعطت كما أخذت من ذلك التراث (2) " و كذلك في الأدب، ليس هناك عمل أدبي تفرد بالإبداع الكلي.

1- عبده عبود ، **الأدب المقارن** ، ص27-28

2-عباس محمود العقاد،**أثر العرب في الحضارة الأوروبية**،دار المعارف، القاهرة، ط4 (1965)، ص179

الفصل الأول

أبو العلاء المعري حياته وأدب

أبو العلاء المعري

حياته ونشأته:

هو أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان بن محمد التنوخي المعري (1) وتنوخ من أكثر العرب حسبا ، ومن أعظمها مفاخرا ونسبا وفيهم الخطباء والشعراء والفصحاء والبلغاء ، وأكثر قضاة المعرة وفضلائها وأدبائها وشعرائها من بني سليمان قوم أبي العلاء المعري أسماه أبوه أحمد وكناه بأبي العلاء وهي عادة بلدته وطريقة في العرب حيث يسمون أبنائهم بأسماء عليا رغبة في نيل المعالي ، ولكن أبي العلاء كره اسمه عندما عرف نفسه ورأى أنه من النفاق اشتقاق اسمه من الحمد بينما ينبغي أن يشتق من الذنب ، حيث يقول في ديوان لزوم ما لا يلزم :

وأحمد سماني كبيري وقلما فعلت سوى ما أستحق به الذنب (2)

وهذا التعبير ينضح عن مرارة وتشاؤم من حياته ونفسه وقد كان ذلك في بيت آخر حيث قال : دعيت أبى العلاء وذلك مين ولكن الصحيح أبو النزول (3)

أما اللقب الذي اختاره وأحب أن يدعى به هو " رهين المحبسين " حيث قال في مقدمة ديوان(لزوم ما لا يلزم : (قال أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخي رهين المحبسين تجاوز الله عنه ، وإنما قال بقضاء لا يشعر كيف هو (4)

ولد أبو العلاء مع نهايات ربيع الأول سنة 363 للهجرة ويوافق ذلك بالتاريخ الميلادي يوم الجمعة السادسة والعشرون من كانون الثاني سنة 973 ميلادي في مدينة " معرة النعمان " شمال غرب الشام نشأ فيها وقضى معظم عمره بها وكان من بيت علم ورياسة.

1- ينظر : **معجم الأدباء** ، **إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب** ، ج1 ،تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1993 ص 181

2- أبو العلاء المعري ، **اللزوميات** ، تحقيق أمين بن عبد العزيز الخانجي ، مكتبة دار الهلال ، بيروت ، ج2 ، ص289

3- المرجع نفسه ، ص 245

4- المرجع نفسه ، ص9

فكانت أسرته من سلالة عريقة في العزة والعلم والأدب يتولى أبناؤها قضاء المدينة وما جاورها وكان أكثر قضاة المعرة وفضلائها وعلمائها وشعرائها وأدبائها من بني سليمان جد أبو العلاء " (1)

كانت بدايات تحصيله العلمي في بيته حيث تلقى النحو واللغة على يد أبيه بالمعرة وقد أجمع المؤرخون أنه نظم الشعر وهو في سن الحادي عشر وحفظ القرآن صغيرا. سافر إلى حلب في طلب العلم واتصل بجماعة من علمائها ثم واصل رحلته إلى طرابلس وكان بها خزائن كتب موقوفة فأخذ منها ما أخذ من العلم ، واجتاز اللاذقية ، ونزل دير كان به راهبا له علم بأقاويل فلاسفة حيث درس عنه الأدب اليوناني والفلسفة اليونانية وتأثر بها ثم عاد إلى المعرة وقد أشار في إحدى رسائله إلى أنه لم يأخذ العلم بعد العشرين من أحد حيث يقول : " ومنذ فارقت العشرين من العمر ما حدثت نفسي باجتداء علم من عراقي أو شامي (2)

" درس اللغة والنحو والعلوم الإسلامية و الفلسفة واتصف بالذكاء المفرط والحافظة النادرة و الاطلاع الباهر على اللغة وشواهدها وتميز برغبته الدائمة بإظهار تميزه وتفرده وربما يرجع ذلك إلى عقدة النقص التي سببها فقدانه لبصره مما أثر على نفسه وحياته عامة فقد اعتل بالجذر وهو في الرابعة من عمره والذي فقد على إثره بصره سنة 367 هجري " ومنذ ذلك الحادث المؤلم الفاجع تبدأ رحلة أبي العلاء مع الدنيا والآخرة معا ، في صراع متواصل صباحا مساء ... في نضاله من أجل الأمجاد والبطولات الفكرية والعقلية ، في شجاعته التي لامثيل لها وهو يؤكد ذاتيته ، و يرسى مكانته بتاريخ العقول ، وفي صرح الأدب العربي الرفيع على مر الدهور ، وتلاقي الحضارات والثقافات (3)

تمرد أبو العلاء على واقعه المؤلم حتى اهتدى بنور البصيرة إلى مكامن وروائع الأدب وطرائف الفلسفة ولطائف الشعر فذاع صيته في كل مقام حل به فقد حاول أن يتحدى ظروفه القاسية فشوهد في شبابه يلعب النرد والشطرنج ، ويأخذ في صنوف اللهو والجد.

1- عبد القادر محمود، **رحلة إلى الدار الآخرة**، مركز الكتاب للنشر، القاهرة، ط1، 1997، ص 13

2- رسائل أبي العلاء المعري ، طبعة أكسفورد ، ص 32

3- عبد القادر محمود ، مرجع سابق ، ص15

"شد رحاله إلى بغداد سنة 399 هجري بعد أن ظفر بشهرة إقليمية واسعة في حلب والشام وكان في عزمه أن يخوض معركة الوجود في العاصمة الكبرى للدولة الإسلامية , مسلحا بذكائه وعلمه وطموحه، لكنه صدم هناك حين وجد المعركة تحتاج إلى أسلحة أخرى لا يملكها من الدهاء والمكر والحيلة والنفاق (1). " وكانت رحلة حاسمة انطلق فيها متفتحا للحياة ماضيا في معركته النفسية يريد أن يتحدى محنته ويغالب القدر ويعاند الأيام ليثبت وجوده ويتغلب على الأثر الذي رسمه فقدانه للبصر محاولا أن يطغي نور بصيرته وعلمه وذكائه المتميز على ظلمات بصره لكنه سرعان ما عاد إلى مسقط رأسه خائبا بعد عام و سبعة أشهر بعد عدة أحداث مخيبة وقاسية كان آخرها طرده من مجلس الشريف المرتضى بعد أن كان عالي الشأن فيه. وزادت محنة وانتكاسة المعري بخبر وفاة والدته في طريق عودته إلى المعرة فكان للواقعة في نفسه شديد الألم ولاذع الحزن، فكانت الخيبة المنهكة لأنه عاد صفر اليدين ، إذ لم تستقم له الحياة في بغداد ولم يستقر بها، كما لم يعد للقاء والدته التي ترعاه بعين الرحمة فأصابه ذلك بالنكسة ، رغم المكابرة وعدم إظهار الضعف أمام الآخرين لأن وراء كل ذلك إحساس بالوهن والضعف واليأس ويظهر ذلك حين قال :

مضت وقد اكتهلت فخلت أني رضيعا ما بلغت مدى الفطام (2)

وقال في بيت مشابه :

مضت وكأني مرضع وقد ارتقت في السن شكل فودي أشكال (3)

وسيطرت عليه فكرة أنه كان يعاند قدرا محتوما دفن أشياء فقدت ومضى أثرها بفقدان بصره و ربما قبل ميلاده فاختار لزوم بيته وانعزاله عن العالم. قال ياقوت الحموي: " ولما رجع إلى المعرة لزم بيته فلم يخرج منه وسمى نفسه رهين المحبسين يعني حبسه نفسه في منزله وترك الخروج منه وحبسه عن النظر إلى الدنيا بالعمى" (4) حيث قال:

1- عائشة عبد الرحمن ، **رسالة الغفران لأبي العلاء المعري**، ط9، دار المعارف، القاهرة ،1977 ، ص 421

2- أبو العلاء المعري ، **سقط الزند** ، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت 1957 ص 39

3 -المصدر نفسه ، ص47

4- ياقوت الحموي، **معجم الأدباء**، ص 303

أراني بالثلاثة من سجوني فلا تسأل عن الخبر النبيث

لفقدي ناظري ولزوم بيتي وكون النفس في الجسد الخبيث (1)

فحبس العمى كان اضطراريا بينما اعتكافه كان الجزء الاختياري الذي عززه وشدد حبله عدم القدرة على الانسجام مع غيره ومع الحياة المملوءة بالشرور و التملق والرياء والحسد. و يظهر لنا جليا أن المعري كان من أولئك الذين شعروا وهم داخل أوطانهم بنوع من الانفصال و الضياع والتمزق وذلك راجع لعوامل كثيرة جعلته يحس بالاغتراب بين ناسه وأهل زمانه. " لذلك نجده لزم بيته ، فلبث تسعا وأربعون سنة في محبسه بالمعرة لم يغادر إلا مرة واحدة لم تتكرر وذلك حين حمله قومه على الخروج ليشفع لهم لدى " أسد الدولة " صالح بن مرداس* صاحب حلب(2) "

لزم المعري الإقامة في منزله نحو خمسين عاما ، حتى رحيله ، وكانت علاقاته بطلبة العلم الذين يقصدونه من أبرز العلاقات الثقافية والاجتماعية المهيمنة في تلك الفترة المهمة من حياته ، فوجد بأولئك الطلبة مستعانا على إعاقة فقد البصر لقراءته الكتب والمؤلفات " فعزلة المعري لم تكن إلا عزلة جسدية فقط لأن روحه واصلت تحليقها في الكون وعالم الناس فكان بيته مقصدا للعلماء ومدرسة لأمهر الطلاب من سائر الأمصار يقرؤون عليهم ما شاءوا قراءته من الموضوعات فيجيبهم شارحا موضحا معلقا مرشدا مفصلا منتقدا مؤيدا يزوده في ذلك علمه الغزير ورأيه الثاقب وثقافته الواسعة فقد ظل محافظا على أواصر اللقاء والتفاعل مع المجتمع من خلال الكلمة ورجالها الذين نذروا أنفسهم بخدمتها والارتقاء بها في كل مكان وزمان" (3 وكان عنده من الطلبة من يطالع له التصانيف الأدبية ، لغة وشعرا وغير ذلك وكان لا يكاد ينسى شيئا مما يمر بسمعه وقد أصبح العديد من تلاميذ ته من أعلام التراث العربي المعروفين ، مثل الخطيب التبريزي(421 – 502 وغيره، فلا تقل مكانة المعري معلما عن مكانته مبدعا في مضمار الأدب والنقد ، وهي مكانة متصلة بما عنده من علم يسعى الناس في طلبه ،

---

1 -أبو العلاء المعري، **اللزوميات** ، ص167

2 -عائشة عبد الرحمن ، **مع أبي العلاء في رحلة حياته** ، دار الكتاب العربي، ص 175

3 -أبو العلاء المعري ، **رسالة الغفران** ، ص 9

4-مجلة التراث العربي ، **دراسات في أدب المعري و نقده** ، عدد 126 ، سنة 2012 ، ص 11

عبر عنها د . طه حسين في قوله : "وآيات ذلك أنه أنفق قريبا من نصف قرن يملي علمه وأدبه على من كان يسعى إليه من الطلاب على اختلاف أقطارهم وتباعدها " (1)

أتهم المعري في حياته بالزندقة وذلك لعقيدته المثيرة للجدل ، " فقد تضاربت الآراء حول عقيدته فقد أتهم بالزندقة والإلحاد ، قال عنه ياقوت الحموي : " كان متهما في دينه يرى (رأي البراهمة(لا يرى فساد الصورة ولا يأكل لحما ولا يؤمن بالرسل والبعث" (2)

فكان مشككا بالمعتقدات جميعها التي سبق وآمن فيها ، كما ندد بكثير بما دعاه خرافات الأديان ، وظهر ذلك في الكثير من أشعاره، ووصفه البعض أنه يؤمن بالربوبية لكنه لا يؤمن بالأديان ، بل عد الدين خرافة من ابتداع القدماء ورفض ادعاءات الإسلام وغيره بامتلاك الحقيقة المطلقة ، فيقول :

فلا تحسب ما قال الرسل حقا ولكن قول زورا سطروه

وكان الناس في يمن رغيد فجاءوا بالمحال فكدروه (3)

فكانت عقيدته عقيدة فيلسوف زاهد يرى في العقل وحده دليلا إلى محاسن الأخلاق ،حيث قال :

سأتبع من يدعو إلى الخير جاهدا وأرحل عنه ما إمامي سوى عقلي (4)

لكن نقاد كثيرون نفوا عنه هذه التهمة واعتبروه متصوفا زاهدا وذلك التضارب في الآراء راجع إلى غموضه وفلسفته العقلية وصراعاته النفسية التي تجسد أفكاره من الشك والحيرة ومن الإيمان بالعقل إلى عدم اليقين به ، ومن الإيمان بالجبرية إلى الضراعة لله والاستسلام لمشيئته ، ومن توكيد لإرادته في ممارسته للموت في الحياة ، برفض الزواج ومتعة الحياة من طعام وشراب ولباس واعتزل للناس .

1-طه حسين ، **آثار أبي العلاء المعري** ، مقدمة تعريف القدماء بأبي العلاء 1965 ، دار القومية ، القاهرة ، ص 696-2 حساني شريف نجيب ، **رسالة الغفران للمعري** ، قراءة تأويلية ، مذكرة مقدمة لنيل درجة ماجستير في النقد الأدبي ، جامعة بسكرة ، (2012) ، ص13

3 -سيد حسين العفافي ، **الجزاء من حسن العمل** ، ج1 ، مكتبة ابن تيمية ، ط2 ، 1996، ص 391

4-عبد القادر محمود، **رحلة إلى الدار الآخرة**، ص32

حيث قال الصفدي : "ومكث مدة خمسة وأربعين سنة لا يؤكل اللحم دينا لأنه كان يرى رأي الحكماء المتقدمين وهم لا يأكلونه كي لا يذبح الحيوان ، ففيه تعذيب له وهم يرون الإيلام في جميع الحيوانات" (3)

وحسب هذا الرأي يرجع مصدر قناعة المعري إلى صفات الزهاد مع الإتيان بالنادر من التجارب ، وهذا ما يجعله في زمرة المذهب الإنساني المتطرف المتنسك بثقافات إنسانية مختلفة وهذا ما جعل البعض يشكك في عقيدته .

فهذا الذي أتهم بالزندقة والإلحاد هو نفسه من كان يصوم الدهر عاد العيدين وهو نفسه الذي نجده في بدء كتابه)فصول وغايات(الكتاب الذي قيل فيه" : كأنه معارضة منه للسور والآيات" (2) ، يستعين بالله ويدعوه بقوله: "علم ربنا ما علم ، إني ألفت الكلمة، آمل رضاه المسلم، واتقي سخطه المؤلم ، فهب لي ما أبلغ به رضاك من الكلام والمعاني الغراب "(3) وقد نص أنه أراد بهذا الكتاب تمجيد الله عز وجل ونشر المواعظ والحكم على عكس ما اتهم به، فكيف يطلب العون والتوفيق من ربه في مستهل معارضته لكتابه الكريم ؟ حيث يقول: "واجمع ملحد ومهتدي، وناكب عن المحجة مقتدي، أن هذا الكتاب الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم كتاب يهر بالإعجاز ، ولقي عدوه بالإرجاز ، ما حذي على مثال ، ولا أشبه غريب الأمثال ، ما هو من القصيد الموزون ، ولا الرجز من سهل وحزون ، ولا شاكل خطابة العرب ، ولا سجع الكهنة ذوي الإرب ، وجاء كالشمس اللائحة ، نورا للمسرة والبائحة ، لو فهمه الهضب الراكد لتصدع ، أو الوعول المعصمة لراق القادرة والصدع : "وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون " وإن الآية منه أو بعض الآية ، لتعترض في أفصح كلم يقدر عليه المخلوقون ، فتكون فيه كالشهاب المتلألئ فيه جنح غسق ، والزهرة البادية في جدوب ذات نسق ، فتبارك الله أحسن الخالقين" (4)

---

1 -ابن خلكان ، **وفيات الأعيان في أنباء أبناء الزمان** ، المجلد الأول ، ص114

2-ينظر : **معجم الأدباء** ،مرجع سابق، ص 305

3 -المعري ، **فصول وغايات** ، مقدمة

4 المعري ، **رسالة الغفران** ، مقدمة

وهو نفسه القائل : غريت بذمي أمة وبحمد خالقها غريت

وعبدت ربي ما استطعت ومن بريته بوريت (1)

وربما يكون الجدل القائم على عقيدته سببه التأويل الخاطئ لأفكاره والغموض والتعقيد الذين اتصفت بهما أعماله . فقد عقد لغة نثره تعقيدا عميقا ، الأمر الذي حول جوانب كثيرة من أعماله إلى ما يشبه الألغاز والأحاجي" (2) ولعله من أجل ذلك عني بشرح آثاره وتفسيرها حيث نجده يتبع كل عمل أدبي بملحق يشرحه أو آخر يدافع فيه عن نفسه ، ككتاب (السادان(و (إقليد الغايات(وهما لتفسير غريب ألغاز (الفصول والغايات(الذي آثار جدلا كبيرا آنذاك بسبب التأويل الخاطئ له . وكتابي (زجر النابح(و)نجر الزجر(وهما ردا على من طعن فيه في أبيات من ديوانه ونسبوه إلى الكفر بسببهما وبعضها محرفة عن مواضعها، فبين فيهما وجوهها ومعانيها.

" ويعترف أبو العلاء لسابقيه بالسجع والبديع ، لكنه يدعي عليهم بعد ذلك أنهم قصروا عن معرفة طرقه الصحيحة ، لأنهم لم يرقوا إلى درجة مذهبه ، فالفن كان عندهم زخرفا وتصنيعا ، أما عند المعري فقد تقدم الزمن وتطور الفن ، وأصبح الفنان يأبى أن يخرج نثره في زخرف وزينة فقط ، بل لا بد أن يخرج فيه كلف وعقد" (3)

لكن التاريخ أعاد له اعتباره ، ووضعه في مصاف أعظم الأدباء والشعراء في العالم الأدبي ، في هذا السياق يجدر الذكر لرأي طه حسين الذي رآه في بصيرة الأديب الناقد حيث قال عنه :" ليس بين أعلام الضاد في تاريخها القديم والحديث على السواء ، كاتب أو مصنف أو رجل علم وأدب ، أو رأي أو حكمة ، جمع في آثاره من ألوان الكتابة نظمها ونثرها ، وضروب المعرفة وأشتات الفكر ، ما جمع أبو العلاء المعري من هذه الأبواب جميعا ، فهو الشاعر والناظم وهو الناقد والشارح وهو الواعظ والمرشد ، وهو صاحب حكمة وتفلسف وهو الأستاذ لكل هذه الوجوه" (4)

-1 المعري ، **اللزوميات**

-2 شوقي ضيف ، **الفن ومذاهبه في النثر العربي** ، دار المعارف ، مصر ، ط 1 ، ص 291

-3عمر فروخ ، **تاريخ الأدب العربي** ، ج3 ، دار العلم للملايين ، بيروت لبنان ، ص 126

4 - طه حسين ، **تعريف القدماء بأبي العلاء** ، ص 19

وبين متهما له بالزندقة وبين مدافع عنه هناك فريق ثالث من الناس كان له فيه رأي وسط بين هذين الرأيين. وقد لخص ابن فضل الله العمري هذه المواقف في ختام دفاعه عنه في مسالك الأبصار فقال" : والناس فيه بين مكفر ومعتقد له الولاية وما بين هذه الغاية"(1) وهكذا عايش أبو العلاء الموت راضيا في رحلته الحياتية حتى النهاية ، وكان قد قرر الاعتصام بمبدأ الرحمة ، في عدم الزواج ، حتى لا يكرر جناية الآباء على الأبناء ، وفيه رفضه المطلق لأكل الحيوان والطير ، وما يخرج منها ، من بيض ولبن وعسل ، قانعا بما يمسك رمقه مما تنبت الأرض ، ومن الثياب ما يستره ، ومن الفراش ما يقربه من الأرض"(2) استمر على ذلك إلى أن وافته المنية في معزله بالمعرة عن عمر يناهز 86 سنة ، يقول الخطيب البغدادي : " مات يوم الجمعة الثالث عشر من شهر ربيع الأول سنة 449 ه " بعد مرض دام ثلاثة أيام وقد كانت وصيته أن يكتب على قبره :

هذا ما جناه أبي علي وما جنيت على أحد (3)

"وقد أجمع ياقوت الحموي والكثير من الباحثين والنقاد على أنه لما مات رثاه على قبره ما لا يقل عن ثمانين شاعرا منهم تلميذه أبو الحسن علي بن همام الذي قال :

إن كنت لم ترق الدماء زهادة فلقد أرقت اليوم من جفني دما

سيرت ذكرك في البلاد كأنه مسك تضمخ منه سمعا أو فما

كما رثاه أبو الفتح الحسن بن عبد الله بن أبي حفية :

العلم بعد أبي العلاء مضيعة والأرض خالية الجوانب بلقع

أودي وقد ملأ البلد غرائبا ا تسري كما تسري النجوم الطلع (4)

---

1 - ابن فضل الله العمري **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، تحقيق: كامل الجبوري، دار الكتب العلمية، ط 1 ، 2010، ص 158

2 -عبد القادر محمود ، **رحلة إلى الدار الآخرة** ،ص32

3 -الخطيب البغدادي ، **تاريخ بغداد** ،ج4، دار الغرب الإسلامي، ص241

4-ينظر : ياقوت الحموي، **معجم الأدباء**

هكذا مضى أبو العلاء ، ولعله كان يردد فيما بينه وبين نفسه كثيرا أيام مرضه الأخير بيته الشهير : لا تظلم الموتى وإن طال المدى إني أخاف عليكمو أن تلتقوا (1)

مؤلفاته:

عاش عمره في سبيل الكتابة والتأليف ورحل مخلفا تراثا أدبيا غنيا أحيى ذكرى اسمه إلى يومنا هذا . فما أنتجه من إبداعات نثرية وشعرية متنوعة تتوزع بين الأدب والفكر والفلسفة و الإيديولوجية والسياسة وقضايا الحياة والمجتمع واللغة والدين والعالم الآخر وكله يدل دلالات واضحة على أن هذا الرجل كان ذا ثقافة عميقة قامت على تناصات متنوعة المصادر والمرجعيات اللغوية .ألف أبو العلاء كتبا كثيرة بفضل عزلته وغزارة علمه وقوة حافظته وسرعة فهمه ، "ذكر ياقوت الحموي أسماء مؤلفاته ودوافع تأليفها ، فهي متعددة المناهل والأغراض منها الشعري والنثري ؛ من ذلك :

ديوان سقط الزند :و به فرض نفسه شاعرا كبيرا وبقوة في ذلك العصر وكان عن المدائح والمراثي . وجاء (ضوء السقط) ويعرف بالدرعيات كملحق لشرح ديوان سقط الزند . **ديوان اللزوميات)** لزوم ما لا يلزم (واهتم بالحكمة والنقد الاجتماعي . وجاء (شرح اللزوميات) لتفسير هذا الديوان من ثلاثة أجزاء (نظم السور ، عظات السور ، الراحلة **ديوان الفصول والغايات فقرات وفترات**) وهو من كتبه مثيرة للجدل لأسلوبه المشبه بالأسلوب البلاغي في القرآن الكريم .**الأيك و والغصون في الأدب** يربو على مائة جزء .**تاج الحرة في النساء وأخلاقهن وعظاتهن** ، وهو أربعمائة كراسة.**عبث الوليد** ، شرح به ونقد ديوان البحتري . **معجزة أحمد** يعني أحمد بن الحسين المتنبي " (2)

---

1 -عبد القادر محمود ، رحلة إلى الدار الآخرة ، ص32

-2 ينظر : ياقوت الحموي ، معجم الأدباء ، ص 328- 334

زجر النابح ، كتاب يرد فيه على من طعن عليه في أبيات من ديوانه السابق ، ونسبوه إلى الكفر بسببها ، فيبين وجوهها ومعانيها .نجر الزجر ، كتاب يرد فيه أيضا على من طعن عليه في أبيات غير الأبيات المذكورة في زجر النابح وبعضها محرفة عن مواضعها ؛ فبين التحريف وبين وجوه تلك الأبيات ومعانيها .

" بالإضافة إلى كتاب (السادان(و (إقليد الغايات(و (تضمين الآي(و (سيف الخطبة)و (مجد الأنصار في القوافي (و)دعاء الساعة(و(وقفة الواعظ(و)سجع الحمائم (

و(خماسية الراح(

أما الرسائل فهي كثيرة ؛ وهي ثلاثة أقسام ، الأولى رسائل طوال تجري مجرى الكتب المصنفة مثل كتاب (رسائل الملائكة (و)رسالة الهناء(و)رسائل السندية (و)رسالة الغفران(و)رسالة الفرض (و (رسالة الصاهل والشاحج(في الأدب الرمزي .

والثاني رسائل دون هذه في الطول)كرسالة المنيح(و)رسالة الإغريض (

والثالث الرسائل القصار كنحو ما يجري به العادة المكاتبة وقيل إنها أربعون جزئا ، وقيل أنه ثمانمائة كراسة ".(1)

ومما يمكن أن نلاحظه على رسائله أنها تحمل مسميات روحية وتتضمن أمور لغوية وصرفية ونقدية تكتسي طابع الحوار في أغلبها ؛ محتملة على السؤال والجواب وتقصي الحقائق متبوعة ببحث استطرادي تعليمي ، يغلب عليها التعقيد المبالغ فيه .

"لقد حظيت إبداعات المعري النثرية والشعرية ، المتخيلة باهتمام كبير من لدن الدارسين والباحثين العرب ، وحصلت على تقييمات عالية رفعت من مكانة المعري عاليا بين أبناء عصره من المبدعين ، فقد ذكر عمر فروخ بأن المعري أديب نابغ واسع الاطلاع والمعرفة بعلم اللغة وتاريخ الفكر ، وأحوال الاجتماع ويحيط بها إحاطة تعيا أحيانا على المبصرين ، ثم إن المعري يحسن النقد وهو من الحكماء المعدودين " (2)

-1ينظر : ياقوت الحموي ، **معجم الأدباء** ، ص 328 -334

-2 مجلة كلية التربية للبنات ، مجلد 28 ، العدد4 ، الجامعة العراقية ، 2017، ص 1137

فقد وجد المعري وأدبه تقديرا واسعا في كتابات كثيرين من مثقفي عصره ، والعصور اللاحقة ، فذكره معاصره أبو منصور الثعالبي(350 -429) ه في كتابه " يتيمة الظهر " مع بعض مثقفي المعرة مقدما له بقوله :" جمعت بين أهل معرة النعمان ، التي أخرجت هؤلاء الفضلاء " . وترجم له معاصره الخطيب البغدادي (392-463)هـ في كتابه " تاريخ بغداد " قائلا عنه :" كان حسن الشعر ، جزل الكلام ، فصيح اللسان ، غزير الأدب ، عالم باللغة ، حافظا لها " ؛ وأثنى الباخرزي)ت 467 ه(على شعره عندما ترجم له في كتابه "دمية القصر" قائلا: " رأيت ديوان شعره الذي سماه سقط الزند ، وهتف فيه كالحمام على فنن غض النبات من الرند " وبين القفطي (568-646 (ه في كتابه " إنباه الرواة على أنباء النحات " مكانته بين فضلاء عصره ، فقال في ترجمة له :" وكاتبه العلماء والوزراء والفضلاء وأهل الأقدار ، واختاروا عليه التصنيفات ففعل ، وكان نادرة زمانه " .

ظل أدب المعري وسيرته، منذ رحيله في منتصف القرن الخامس هجري، الحادي عشر ميلادي، من أبرز موضوعات التراث العربي استدعاء لاهتمام الكتاب والباحثين، الذين اعترف معظمهم بذيوع ذكرى المعري، لكنهم اختلفوا حول تقدير قيمة مؤلفاته (1)

عصره:

وعلى كل حال لا سبيل لفهم أبي العلاء مع إغفال عصره وبيئته السياسية والاجتماعية .فالبيئة السياسية التي عاشها المعري أثرت على إبداعه واستطاعت أن تلونه بلون خاص مميز فلا شك أن البيئة التي عاصرها المعري لها الأثر الأكبر في مخيلته وأفكاره ، فقد شهدت معرة النعمان في القرن الرابع الهجري اضطرابات سياسية واجتماعية جعلتها ساحة للفتن الطائفية داخليا ، والحروب الصليبية خارجيا ، وكان ذلك حال الخلافة العباسية عامة ، إذ أصبحت ممزقة إلى دويلات ضعيفة بل كانت في شر منازلها من الضعف والتفرقة ورغم ذلك إلى أن الحياة العلمية والأدبية كانت في أوج ازدهارها .

1- مجلة التراث العربي، مرجع سابق ، ص8

فبعد أن اضمحلت عسكريا حاول العالم الإسلامي أن يجدد شبابه بالعلم والفكر والثقافة ، وتحولت الدويلات الضعيفة سياسيا وعسكريا إلى مراكز إشعاع ثقافي وعقلي وروحي " وأصبحت بغداد والبصرة والكوفة وحلب وأنطاكيا أشبه بأثينا وطيبة وسراكيوز في عالم اليونان خاصة حلب وأنطاكيا لأنهما كانتا نقطتي التقاء الحضارتين العربية و الهيلينية بمثل ما كانت مدن العراق في المقام الأول نقاط التقاء الحضارتين العربية والفارسية . (1)

في العالم الإسلامي كان قد وقع في زمن المعري وما قبله بقليل وحتى ما بعده في مأزق الحروب الصليبية البيزنطية في القرن العاشر والحادي عشر الميلاديين . " ويذكر لويس عوض أن المعري والمثقفين العرب في زمانه وكذلك ممن تعلقوا ببلاط الحمدانية من مهادني بيزنطة خرجوا من هذا المأزق اختيار الثقافة على حساب القوة والاستقلال السياسي فقدموا الجزئي على الكلي و قدموا العقل على الحياة" (2)

وقد حفلت بغداد بالمجامع العلمية حول الوزير) سابور بن اردشير(ومجالس لا تنفض في علوم اللغة والفقه والكلام، وفي هذا الزخم كله، كان ضرير المعرة يجالس العلماء والمفكرين، ويناظر الفقهاء والأدباء، حتى بلغ شأنا لا يضاهيه فيه إلا فطاحل العلم والأدب(3). وقد تميز عصر أبي العلاء بغلبة مذهب الباطنية وانتشار التقليد، وفي مذهب الباطنية انحراف عن العقل و مجافاة للنقد و التعويل كل التعويل على علم الباطن وما يقوله الإمام. (4) في استحضار ذلك الجو كشف لدعوته إلى العقل وإعلاء من شأنه وفك لبعض شفرات ألغازه.

1- ينظر : **رسالة الغفران** ، أبو العلاء المعري ، ص 8081 -

2- المصدر نفسه ، ص 8281-

3- طه حسين ، **تجديد ذكرى أبي العلاء** ، ص

4- ينظر : ابن الأثير ، **الكامل في التاريخ** -عصر أبي العلاء محقق:أبو الفداء القاضي دار الكتب العلمية ط1 1987 ص 449363-

ومن الأمور المهمة التي أسهمت إسهاما في تكوين مخيلة المعري الإبداعية والفكرية والثقافية ورؤيته السيسيولوجية هي أنه كان معاصرا لابن سينا(980- 1037) والبيروني(1020 (94-ومحمد ابن حزم (994- 1064) و أبو حيان التوحيدي الذي توفي بعد(1009) وأن المعري ولد في الجيل التالي بعد موت الفورابي (780- 950) والطبيب الرازي (ت 934) وكان قريب العهد جدا من المؤرخ المسعودي ت(960 ومن عالمي الجغرافية : الاصطخري (951(وابن حوقل (977). فالمكتبة العربية كانت قد زخرت في عصر الترجمة ، أي في القرنين السابقين على المعري بعيون التراث اليوناني والفارسي ، ونتيجة لتفتح الثقافة العربية على الثقافتين اليونانية والفارسية ظهرت في العالم الإسلامي تيارات فكرية متضاربة بعضها عقلاني وبعضها روحاني وكانت تمثل حالة ازدهار ثقافي عظيم كان يمكن أن يجدد شباب العرب والإسلام قبل تجدد شباب أوروبا المسيحية بنحو خمسة قرون لولا ظهور الترك والتتار في الأفق .

وقفة تعريفية لرسالة الغفران :

يعد كتاب رسالة الغفران من أشهر الأعمال الأدبية التي ألفها المعري في النثر ، ويعدها كثيرا من النقاد والأدباء من أعظم كتب التراث العربي النقدي ، و درة من درر الأدب العربي . كتبت بأواخر حياة أبي العلاء ، فتاريخ وضعها " يظهر من كلام أبي العلاء فيها أنه وضعها نحو سنة 424ه فقد أملاها صاحبها وهو في الستين من عمره ".(3)

"وهي تأخذ صورة رسالة إخوانية من رسائل الطوال التي تجري مجرى الكتب المصنفة ، يقع الكتاب في ثلاثمائة كتابة من الصفحات المتوسطة الحجم مما يناهز الواحدة والستين ألفا من الكلمات " (2) وقد أملاها أبو العلاء أثناء عزلته رهين محبسيه. وتعد الرسالة ردا ضمنيا على الرسالة الأصل التي وجهها إليه الشيخ الأديب علي ابن منصور الحلبي ، المعروف بابن القارح* ، يسأله فيها عن جملة من الأمور تتصل بالتاريخ ، والفكر ، والتصوف ، والأدب ، والنحو ، والسيرة النبوية ، والزندقة وغيرها . " فقد كتبت الغفران في مقام رد على ابتلاء ، وهي جوابية لا تختلف من حيث المقام الأدبي عن سائر الرسائل التي تقوم على التخاطب الثنائي وتوعية في مختلف مراحله الكتابية" (3) وبدلا أن يجيبه برسالة عادية جعله يصعد إلى السماء ويرى بنفسه كيف جرت وتجري الأحكام الإلهية، حسب منظوره، ويسأل ابن القارح المخلدين في الجنة ، بما غفر لكم ؟ والمخلدين بالنار، بما لم يغفر لكم وما جنيتم ؟ ولكثرة ما ورد من أسماء الغفران سميت رسالة الغفران". (4) وتستهل الرسالة بمقدمة غير مألوفة ، يستطرد فيها أبو العلاء في رحلة خيالية في العالم الآخر وهو يعرض مسرحا لمشاهد القيامة والجنة والجحيم مستعرضا فيها قدرته اللغوية والأدبية وقد صاغ فيها خلاصة فلسفته في الحياة .

1- محمد سليم الجندي ، **الجامع في أخبار أبي العلاء المعري** دار صادر ، بيروت ، ط 2 ، 1992، ص743

2- سناء شعلان ، **مقاربة بين رسالة الغفران للمعري والكوميديا الإلهية لدانتي** ، مجلة عود الند ، عدد 22 ، 2008

* ابن القارح هو علي بن منصور بن طالب الملقب بدوخلة ، كان شيخا من شيوخ الأدب راوية الأخبار وحافظا لقطع كثيرة من اللغة والأشعار ، عالما بالنحو ، وقد درس على شيوخ اللغة بالشام وبغداد وتكسب بالتعليم في الشام ومصر" ياقوت الحموي ، إرشاد الأريب إلى معارف الأديب ، ص330

3- رمضان صالح، **الرسائل الأدبية ودورها في تطور النثر القديم** ، دار الفارابي ، بيروت ، ص 128

4-شوقي ضيف ، **الفن ومذاهبه في النثر العربي** ، ص 276

وآرائه الدينية والفكرية وفلسفته في الأخلاق وتأملاته الإنسانية في أبرع مشاهد السخرية المرة والفكاهة المضحكة المبكية.

" وفي الرسالة طرائف أدبية ، ومقاييس أدبية ونقدية ، ولغوية وفنية ، تدل على عمق الكاتب وسعة ثقافته وخياله" (1) وهي من أهم آثار أبي العلاء وأغناها ، وقد رأى فيها القدماء دليل على تمكنه من الأدب واطلاعه حتى أولئك الذين تحاملوا عليه ورموه بسوء المعتقد لم يكتموا إعجابهم بما تومئ إليه من مقدرة أبي العلاء الأدبية ، حيث جاء فيه تاريخ الإسلام للذهبي ، وهو من أولئك المتحاملين : " أبو العلاء التنوخي المعري اللغوي الشاعر المشهور صاحب التصانيف المشهورة ، والزندقة المأثورة ، له رسالة الغفران في مجلد قد احتوت على مزدكة واستخفاف ، وفيها أدب كثير" (2) وقد نالت الغفران شهرة كبيرة ، وعدة رائدة ، ومعلما في درب النثر العربي ، وحسبنا أن نقرر أن هذه الرسالة هي أول قصة خيالية عند العرب " مع أن بعض النقاد قد غبنها حقها (3). فجاءت رسالة ذات طابع روائي ، حيث جعل المعري من ابن القارح بطلا لرحلة خيالية أدبية عجيبة يحاور فيها الأدباء والشعراء واللغويين في العالم الآخر .

تتكون الرسالة من مقدمة وقسمين رئيسيين ، حيث يفتتحها أبو العلاء بتجانسيات لفظية يمدح فيها ابن القارح ويصف رسالته وأثرها الطيب في نفسه وقد ساق هذه المقدمة بأسلوب الإلغاز(*) وهو فن بديعي ولعبه أصحاب الصنعة الأدبية في عصر أبي العلاء . ففي مستهل الرسالة ، أراد أبو العلاء أن يعرب عما يضمر قلبه من الود لابن القارح ، فاختار أن يلغز عن ذلك بتصوير الثواب الجزيل الذي أعده الله له في الجنة لقاء كلماته الطيبة ذات الأثر الجميل في النفس أصلها ثابت وفرعها في السماء .

1-محمد رمضان الجبري ، **الأدب المقارن** ، ط1 ، منشورات ELGA ، مالطا ، 2002، ص 128

2-طه حسين وآخرون ، **تعريف القدماء بأبي العلاء** ، ط1 ، الهيئة العامة للكتاب ، (1986) ، ص 189

-3سناء كامل شعلان ، **التعالق النصي بين كوميديا دانتي وغفران أبي العلاء المعري** ، مجلة آداب الفراهيدي ، العدد 5 ، 2010، ص108

***الإلغاز** :مصدر ألغز ، يلغز إلغاز فهو ملغز ، ألغز كلامه : عما مراده به ولم يبينه ، أي أضمره على خلاف ما أظهره .

فيقدم وصفا مسترسلا للجنة وبلوغ ابن القارح السماء العليا ووصف حاله هناك مستشهدا بآيات قرآنية وأبيات شعرية وقد استقى ذلك من القرآن الكريم مستفيدا من معجزة الإسراء والمعراج ، أما الأبيات الشعرية فقد شرحها وعلق عليها لغويا وعروضيا وبلاغيا . ويصور كل ذلك بصور خيالية مبتكرة تذخر بالمعارف الأدبية وخاصة الشعرية والنقدية واللغوية والعروضية .

وقسم المعري الرسالة إلى قسمين : قسم الرحلة وقسم الرد ، فكان الأول قسم تخيلي عجائبي عبر تسلسل للأحداث واكبها مهارة الكاتب تصرفا وتحكما في أحداث لم يتسلسل فيها الزمن فقد قسم الجنة على قسم المحشر ، وأنهاها بقطع لتسلسل الأحداث عبر إقامة ومضة ورائية يعود بها للأحداث تقديما وتأخيرا ومرت الرحلة بثلاث مراحل : الصعود إلى السماء ، ثم زيارة الجحيم ، ثم العودة إلى الجنة ، وخلال هذه الرحلة بمراحلها الثلاث يلتقي ابن القارح بشخصيات متعددة من الشعراء والأدباء والنقاد والمفكرين فيحاورهم مثيرا معهم طائفة من القضايا الفكرية والأدبية والنقدية والدينية .

وأما القسم الثاني (الرد) فكان حديثا مباشرا موجها إلى ابن القارح دون ضمنيات يؤكد فيها أبو العلاء على أسباب إنشاء الرسالة ويجيبه عن تساؤلاته .

"هكذا يمضي أبو العلاء لصاحبه ابن القارح في ساحة العالم الآخر صاعدا في معراج من نور إلى أعالي السماوات ، وقد غرس له بفضل الكلم الطيب شجرة في الجنة ، يجلس الشيخ في ظلة مع من اصطفى من ندامى الفردوس ، وكلهم من علماء اللغة ورواة الشعر" (1) ثم يوضح قصة دخوله للجنة مع رضوان خازن الجنة والحوار الذي جرى بينهما ثم يصف الجنة بما فيها من النعيم الخالدة وأشجارها وأنهارها وخمرها وعسلها المصفى والأسماء التي تسبح في أنهارها كأنها قلائد من الفضة . ثم يذكر ندمان الجنة منن علماء اللغة والنحو أمثال أبو بشر ، عمر بن عثمان ، وعلي بن حمزة الكسائي و عبد الملك بن قريب الأصمعي و أبو عبيدة معمر بن مثنى ، ثم يقوم بنزهة في الجنة فيركب جملا من جمال الجنة النجية فيسرعها بعيدا عن الحر والقر وفي يده إناء من شراب الجنة وشيء من طعام الخلود .

1- عبد القادر محمود، **رحلة إلى الدار الآخرة** ، ص55

بعد ذلك يجلس لسماع أحاديث الشعراء بادئا بالأعشى وزهير بن أبي سلمى ثم عبيدة بن الأبرص وعدي بن زيد وأبو دئيب والنابغتين وفي خاتمة المطاف يزور لبيد بن ربيعة وينتهي سيره في رياض الجنة بزيارة عوران قيس*. وقد يرى ابن القارح بهذا الفردوس شعراء يعيشون في الصحة والأمان أكثرهم ممن كان ينتظر أن يراهم في النار فيسألهم بما غفر لهم ؟ ثم ينوي الذهاب إلى الجحيم ليرى أصحاب النار عن كثب ففي طريقه يمر بمدائن العفاريت يحاور شعراء الجن مثل "أبو هدرش " ويلتقي حيوانات الجنة و يحاورها ويحاور الحطيئة . ثم يدخل الجحيم ويزور بعض الشعراء وهم يعيشون في سعير جهنم كبشار بن برد و امرؤ القيس وعلقمة الفحل و عنترة وعمرو بن كلثوم وطرفة وأوس بن حجر والأخطل والمهلهل والشنفرى وتأبط شرا وغيرهم ، وتدور بينهم أحاديث وحوارات .

والجحيم في رسالة الغفران مقام للشعراء الذين لم يتيسر لهم التوبة ولم تتح لهم أشعارهم النجاة من النار ثم بعد أن تنتهي جولته بالنار يقرر ابن القارح العودة إلى الجنة لما يرى أن أهل الجحيم لا خير لديهم ولا فائدة ولكي يستقر في مكانه الدائم بدار الخلود . ففي الجنة يلقى آدم عليه السلام وتدور بينهما محاورات حول بيتين من الشعر روي عنه فيما مضى الإعصار . وينتهي مطافه في الجنة بين المتنعمين في دار الخلود. (1)

والجدير بالذكر أن أبا العلاء في هذه الرسالة ذهب في طريق السخرية والاستهزاء بابن القارح ومعتقداته ومعتقدات نظائره من رجال الدين وأصحاب الديانات فسماها " رسالة الغفران" هازئا به وتعريضا له وأنه ببركة إرشاده وهدايته تاب إلى الله فغفر له . وقد بالغ في السخرية إلى حد دفع العقاد أن يقول فيها :" حسبنا أن نقول إن الرسالة كلها في وضعها وفي ترتيبها إن هي إلا ضحكة واحدة متصلة يجهر بها المعري حينا ويوارب بها أحيانا وقد يغرق بالسخر حين يوارب ويداري حتى تخاله ساخرا من السخر، مترفعا عن الاهتمام بإظهار قصده لشدة استخفافه وقلة مبالاته (2) "

"عوران قيس : خمسة من الشعراء اشتهروا بهذا اللقب : تميم العجلاني، عمرو الباهلي، والشماخ بن ضرار، وعبيد النميري، حميد الهلالي " عماد أبو رحمة مجلة الجامعة الإسلامية

1- المعري ، رسالة الغفران ، شرح مفيد قميحة ، بيروت ، منشورات دار ومكتبة الهلال ، 1986ص9

2- البيومي السباعي ، في رسالة الغفران لأبي العلاء ، صحيفة دار العلوم ، العدد 3 ، السنة 12

WWW.NOORMAGS.COM

تعد تلك المحاورات التي أجراها ابن القارح مع الشعراء والأدباء بالعالم الآخر والتي تخيلها المعري في رسالة الغفران من أهم مصادر دراسات النقد الأدبي القديم ، فقد احتوت على أبحاث كثيرة في هذا المجال وقد أثرى بحواراته الحياة الفكرية والفلسفية والثقافية والدينية في أيام زمانه فالمعري من خلال هذه الرسالة خلق في الأدب العربي نوعا أدبيا جديدا قائما على السرد يتضمن الوصف والحوار كما يتضمن شخصية رئيسية تتحرك وتتصرف جنب شخصيات فرعية لتخلق عملا متكاملا له بداية ونهاية ، ويتضمن آليات السرد من قص واسترجاع ، ويستعين بشخصيات متنوعة من جن وإنس وحيوان تحضر في المحشر أو الجنة أو النار ، ويستلهم من خيال بديع يجعل النساء يخرجن من ثمار الأشجار ، ويجعل الأفعى تتبدل إلى حية ، ويحتمل إلى جانب ذلك على قصص جزئية في إطار القصة الرئيسية .

وهو يحشد نصفه بالآيات والأشعار والأخبار والمناقشات اللغوية والنحوية يستمد منها في الوصف أو الحوار أو تبيين الشخصية أو سرد الواقع ، ويركز على الوحدة الشعرية في تحريك أحداث القصة وأيضا في تعيين مصير الشعراء في الدار الآخرة ، فنرى من يكون في شعره جانب أخلاقي وجانب ملتزم وجانب فلسفي يحظى بالجنة ومن لم يحقق ذلك فيكون في النار .

وفي ذلك كله يمزج التراث الديني بالتراث الأدبي ثم يضفي عليهما من خياله الخصب فيختلط الواقع بالخيال وهو يفعل ذلك بشيء من المرح والدعابة . وقد قصد أبو العلاء _ من خلال حوارات ابن القارح _ أن يظهر علمه ومعرفته بأشعارهم ، وما فيها من مسائل عويصة في لفظها وفي نحوها ووزنها . وهذه الرسالة طبقت الآفاق شهرة حتى قيل إنها كانت موردا لأعمال عظيمة لاحقة على رأسها كوميديا إلهية لدنتي ، وفي ذلك يقول شوقي ضيف :" لم يصنع أبو العلاء للعربي كوميديا إلهية فحسب بل أثر بها أيضا تأثرا عميقا في الآداب العالمية." (1)

1- شوقي ضيف ، الفن ومذاهبه في النثر العربي ، ص 276

مصادر تأثر رسالة الغفران (تناصات غفران المعري)

قبل الدخول في موضوع تناصات رسالة الغفران ، لا بد من الإشارة إلى الروافد والتيارات الفكرية الآتية من المصادر الحضارية والثقافية والفكرية العالمية والإسلامية التي سبقت فكرة تخيل الرسالة وكتابتها ، فقد سبقت المعري نتاجات إبداعية كثيرة أهمها : (الأوديسة(لهوميروس ، و)الإنياذة(لفرجيل، و (كوميديا الضفادع (لأرسطو فانيس ، ثم المصادر الإسلامية وفي مقدمتها (الإسراء والمعراج(و)الزوابع والتوابع .(

وقد أثار إلى هذه المصادر التي أنتجت (رسالة الغفران (الدكتور لويس عوض في كتابه على هامش الغفران من خلال دراسته لها في ضوء منهج الأدب المقارن ،حيث كانت نظرية التناص تغطي بشكل واسع التأثير والتأثر بين الثقافات والأدب والأفكار وهذه النظرية هي التي تعيننا الآن على دراسة الفلسفة العربية الإسلامية المتأثرة والمؤثرة ، وكذلك دراسات التناصات الفكرية والأدبية والثقافية العربية المؤثرة والمتأثرة أيضا في النتاجات الحضارية الأخرى .

" إذ أن رسالة الغفران وما صدر قبلها من إبداعات يونانية قديمة في مجال أدب الآخرة كان مثالا لعوامل التأثير والتأثر في الآداب العالمية الخالدة. كما كانت قد استفادت كثيرا من قصة الإسراء والمعراج باعتبار انتمائها إلى المصادر الإسلامية ، أو أنها كانت أول نتاج أدبي يسلك هذه التقنيات سواء أكانت مصادرها التقنية إسلامية أو أجنبية . كما قامت بمحاكاة التوابع والزوابع لابن شهيد وعليه نستطيع القول أنها ولدت من رحم المصادر الأجنبية والمصادر التراثية القديمة ، إذ أن رسالة الغفران التي نقلت قرائها إلى العالم الآخر ، وإلى الجنة والنار تحديدا لا بد أنها قد ولدت من رحم الإبداعات العالمية الأخرى المشابهة لها في الأداء الوظيفي والمختلفة معها في الزمان والمكان ، والمشابهة لها في الشخصيات والأحداث التي انتقلت إلى هذا العالم وتحديدا : نعيم الجنة وجحيم النار (1)

---

1 - ينظر : مجلة كلية التربية للبنات ، مجلد 28 ، العدد 4 ، 2017 ، ص1145_ 1146

أثر الأدب اليوناني :

تأثر المعري بالحضارة اليونانية تأثرا عميقا وذلك لكون حلب واللاذقية وأنطاكية كانت ملتقى الحضارتين العربية واليونانية في عصره . وتوجد آثار هذا التأثير في أعظم أعماله الأدبية كرسالة الغفران ، ولا يمكن تفسر هذه المتشابهات بمحض الصدفة أو بابتكار شخصي ، فلا تفسير لها إلا أن المعري كان على علم ومعرفة بالتراث اليوناني عن طريق هذه المراكز أين تعلم ودرس ؛ ويؤكد ذلك أنه درس في دير في اللاذقية على يد راهب من الرهبان علوم القدماء ، والمراد بها علوم اليونان وأدبه ، حيث قال الدكتور لويس عوض : " لقد كانت أنطاكيا واللاذقية بصفة خاصة وحلب إلى حد ما مراكز من مراكز الثقافة الهيلينية في عصر المعري سواء بعلة مجاورتها لتخوم بيزنطة أو بعلة احتلال الروم إياها أكثر من قرن كامل وهذه هي البلدان الثلاثة التي تقول لنا سير المعري أنه تلقى فيها تعليمه الرسمي حتى تجاوز العشرين وتنقل بينها حتى رحلته البغدادية وهو في الخامسة والثلاثين " وعليه فإن أثر الملاحم اليونانية كالأوديسة والضفادع كان واضحا كل الوضوح في أعماله بالأخص رسالة الغفران .

"فقد كانت (الأوديسة لهوميروس(أقدم نص أدبي أو أسطوري تحدث بتفاصيل مملة عن النار وجحيمها وعن الجنة ونعيمها ، وهوميروس جعل (أوديسيوس(بطل الأوديسة في مغامراتها الشهيرة يزور النعيم والجحيم (2) "والمعري جعل من (ابن القارح(بطلا لرسالته الغفران ، يصعده الجنة ويروي تفاصيل رحلته وحواراته مع من التقاهم هناك من شعراء العرب منذ عصر الجاهلية وصولا إلى عصره . وهوميروس وبطله أوديسيوس أيضا تحدثا عن الجحيم كثيرا ، جحيم أسكن فيه الخطاة وكلهم يقاسون عذاب الآخرة ، وخطاة هوميروس هم الكفار والزنادقة عند المعري. وما بعد)الأوديسة(ظهرت (كوميديا الضفادع(لأرسطو فانيس ، وهي من أقدم النصوص الأدبية التي صورت زيارة الإنسان للعالم الآخر ، وتميزت بالهيجاء اللاذع لرجالات عصرها أو لأرائها السياسية ، ولدعوتها الوطنية الحارة (3)

1- على هامش الغفران ، لويس عوض ، ص137
2- ينظر : المصدر نفسه ، ص 15 _ 16
3- ينظر : المصدر نفسه ، ص 47 _ 49

وموضوع الضفادع يدور حول الموازنة بين الشعراء أو على الأصح بين شاعري التراجيديا العظيمين (أسخيلوس (و (أوربيديس) بصفة أساسية . ففيها أن إله الخمر والدراما حزن حزنا شديدا لموت أوربيديس وقرر أن ينزل إلى دار الجحيم ، ليعود به إلى الحياة ، إلا أنه عاد بأسخيلوس ، لأن أسخيلوس كان شاعرا عميق الإيمان ، عميق التدين ، ينضح أدبه بتمجيد الآلهة أو بمخافة المجهول . بينما عرف عن أوربيديس أنه كان من أشياع سقراط والشكاكين ، وأنه ملأ أثينا بالشك والتجديف بحق الآلهة ، وعليه فإن ديونيزوس رب الخمر والدراما رغم حبه أوربيديس شاعرا وأديبا فإنه قد آثر عليه أسخيلوس وعاد به إلى الحياة ليشيع الإيمان في قلوب الآثينين"(1) إن أسخيلوس الضفادع في تدينه قريب الشبه بابن القارح بتطرفه الديني وتكفيره لأقدم شعراء الجاهلية متهما إياهم بالزندقة .

أثر قصة الإسراء والمعراج :

بدأ معراج نبينا صلى الله عليه وسلم بإذن الله تعالى من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ومنه إلى سدرة المنتهى قبل الهجرة بسنتين. وصرح القرآن الكريم بهذا الحدث حيث يقول : { سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير } تتلخص قصة المعراج بأن النبي الأكرم عرج إلى السماوات السبع بصحبة جبريل عليه السلام هاديا ومرشدا وقد رأى في السماء الأولى آدم عليه السلام وفي الثانية يحيى عليه السلام وعيسى عليه السلام وفي الثالثة يوسف عليه السلام وفي الرابعة إدريس عليه السلام وفي الخامسة هارون عليه السلام وفي السادسة موسى عليه السلام وفي السابعة إبراهيم عليه السلام. ومن ثم انتهت رحلة المعراج إلى سدرة المنتهى على وفق قوله تعالى: { لقد رأى من آيات ربه الكبرى } فالوقوف بين يدي الحضرة الإلهية كانت المرحلة الأخيرة في قصة المعراج ثم العودة إلى الأرض

1- ينظر : لويس عوض ، **على هامش الغفران** ، ص49 _ 50

2- سورة الإسراء الآية 1

2- سورة النجم الآية 18

لقد كان لقصة الإسراء والمعراج ، بما تتضمنه من مشاهدات فائقة التصور ، أثرها الكبير في الأدب العربي والغربي على السواء . فلقد انطوت هذه الحادثة على ما هو خارق ومعجز فوجد فيه الأدباء ضالتهم إذ فيها من الغرابة والتشويق متى يشبع نهم الإنسان للاتصال بالعالم الآخر الذي يحن إليه باستمرار منذ بدء خلقه . فكان لها أثر كبير في قدح زناد الرؤى الخيالية عند الأدباء المسلمين في كثير من أعمالهم الأدبية ، الشعرية منها أو النثرية ، وعلى الأخص تلك الأعمال التي قامت في جوهرها على الرحلة الخيالية إلى العالم الآخر .

لقد اتخذت قصة الإسراء والمعراج ، في البداية ، بعدا دينيا صرفا فتعددت الأحاديث والروايات بشأنها واختلف السلف حول زمانها ومكانها . وتجدر الإشارة إلى أن الأثر الديني _ على أهميتها _ لا بد أن يعتريه تحوير وتغيير في العمل الأدبي ؛ فبمرور الزمن فقدت القصة بعدها الديني لتتحول إلى مصدر إلهام لا ينضب ، ينهل منه المبدعون. وكمحصلة لغوية أصبحت نصا أدبيا له قوامه الإبداعي الخاص . فالصياغة القصصية الأولى للحادثة بشقيها - الإسراء والمعراج - تكمن في صياغة الحديث النبوي في الصحيحين. وقد زاد عليها كتاب السيرة والمحدثون والوعاظ وأوائل المتصوفة مفصلين لكثير مما أجمل حتى تضخمت تلك الحادثة وغدت من أهم الآثار التي يمد الدين بها الأدب ، حيث تحولت عناصرها إلى أعمال أدبية أو إلى رموز مؤثرة في صياغة أعمال أدبية ، ذات قيمة ، بدرجات متفاوتة .(1)

وكانت رسالة الغفران أشهر أثر استلهم قصة المعراج فاستقراء ما جاء في الرسالة ، يكشف التأثر الواضح بتفاصيل الحادثة . " فرسالة الغفران ما هي إلا رحلة خيالية إلى الجنة والنار ، ورصد المرئيات والمشاهدات _ المتخيلة _ في نسق تعبيري يقترب من نص الحديث ، فالحديث عن رحلة غيبية وتسجيل مقابلات المؤلف لكثير من الشخصيات ، ورصد مشاهدات عن الجنة والنار ، ونوعيات العذاب والثواب ... ليؤكد على أن أبا العلاء قد وقع متأثر بما ورد في المعراج كنص أدبي (2) "

-1- ينظر: مجلة ثقافتنا للدراسات والبحوث، **بين الدين والأدب**، جمال مقابلة، كلية الآداب، جامعة آل البيت، الأردن، العدد 25، 2010، ص 202

2- محمد الخالدي ، **الإبداع والتجربة الروحية** : رؤية مغايرة ، كتاب الجمهورية ، ص154

حيث يتضح جليا أن التقنية الفنية هي الخيال المعتمد في الرسالة - إسلامية المنبع ، أضفى إليها المعري لمسته الخاصة حيث صنع عالم خاص به وقصر جنته وناره على الأدباء والشعراء واللغويين ونصب نفسه قاضيا فيها ، كما تجرأ أحيانا على بعض المعايير الدينية مما أثار حوله الجدل (1)

أثر التوابع والزوابع :

التوابع والزوابع هذه الرسالة القيمة من الرسائل الأدبية الرائعة في العالم العربي التي كتبت متأثرة بروح المعراج النبوي على كاتبها الشهير أبي عامر أحمد بن مروان المعروف ب " ابن شهيد الأندلسي " 382-426، وهي أهم أثرا تركه ابن شهيد. وهي رسالة تندرج تحت قائمة الجنس القصصي الذي استمد معالمه من التراث الإسلامي الذي يحكم حركة المجتمع و صيرورته .فهي حكاية سفر خيالي إلى عالم الجن بحيث يزور بطلها زهير ابن نمير خلالها شياطين الشعراء والكتاب ويحاورهم وتجري بينه وبينهم أحاديث ، واختار ابن شهيد التوابع والزوابع اسما لرسالته فالتابع هو الجن تصحب الإنسان وتتبعه والزوبعة العاصفة وهي أيضا اسم رئيس الجن وسميت كذلك لأنها وضعت لبيان آراء ابن شهيد في الكتاب والأدباء والمشكلات الأدبية على لسان الجن ففيها يلتقي بشياطين الشعراء السابقين وتجري بينه وبينهم مناظرات ومساجلات أدبية ، وكذلك بينه وبين ما يجده من مخلوقات في عالمهم ، وهو ينتصر في هذه المساجلات الأدبية دائما .

وأشبه ما يكون بها رسالة الغفران لأبي العلاء ، فقد قرن كثير من الباحثين الرسالتين ببعض ومنهم من ذهب إلى تأثر أبي العلاء بابن شهيد ، ومنهم من ذهب إلى أن ابن شهيد هو الذي تأثر بأبي العلاء ، وحقا الرسالتين رحلتان فيما وراء الواقع امتزج فيهما الخيال بالحقيقة ويظهر جليا التأثير الإسلامي على هدي الإسراء والمعراج .واحتدم نقاش طويل بين دارسي الأدب حول قيمة الرسالتين ومدى تأثر إحداهما بالأخرى فالرجلين عاشا في نفس العصر وكل منهما كان يمثل علما من أعلام بلاده. وكما كان الأندلسيون يقلدون أهل المشرق في كل شيء كان أهل المشرق يحرصون أشد الحرص على متابعة الحركة الأدبية من الأندلس .

1- ينظر: مجلة ثقافتنا للدراسات والبحوث، مرجع سابق، ص204

ومن الباحثين من رأى أن كلا الشاعرين عادا إلى أصول واحدة واستمدا منها أفكارهما، فالتشابه واضح من حيث الإطار الفني وأن كلتاهما رحلة عن العالم الحسي إلى عالم غيبي لا تدركه الأبصار والذي تجسد في عالم الجن عند ابن شهيد والعالم الآخر من جنة ونار عند المعري، وكلتهما كانتا ذو طابع إسلامي يبدو عليه أثر الإسراء والمعراج واضحا والكاتبين يلتقيان معا في الخيال والأوصاف وطابع السخرية والإضحاك وكلاهما استعرض علمه وثقافته وعرض أرائه في الأدب واللغة ، وكثيرا من نماذج الشعر ونثره . بينما اختلفا في اللغة ، فلغة المعري لا تخلو من تعقيد ، وإغراء وسجع ملتزم ، ولغة ابن شهيد سلسلة طيعة بعيدة عن التكلف والصنعة.

ورجح أن التوابع والزوابع ألفت قبل رسالة الغفران بنحو عشرين سنة وذلك لأن ابن شهيد ذكر في رسالته ما يدل على أنه ألفها في عهد المستعين) سليمان ابن الحكم(وكانت مدة حكمه من 400 ه إلى سنة 407 ه وأبا العلاء ألف الغفران وقد بلغ نحو السبعين ، كما تدل عليه فقرة فالرسالة نفسها فيكون قد كتب رسالته حوالي سنة 422 هـ ، وعلى هذا تكون التوابع والزوابع كتبت قبلها بنحو عشرين سنة ، وقد أخذ أبو العلاء الفكرة وطبقها تطبيقا لطيفا ، ونحى بها نحوا يخالف بعض الشيء رسالة ابن شهيد " كما (1) انتهى كذلك الدكتور زكي مبارك إلى دليل آخر على ذلك حيث أن رسالة الغفران كتبت حوالي سنة 424ه ، وابن شهيد مات سنة 426 ه بعد مرض أقعده مدة طويلة ، وقد كتبت رسالته قبل ذلك أعوام كثيرة ، قدرها الدكتور مبارك بنحو عشرين عاما ، والمؤكد والمنطقي أن أبا العلاء تأثر بابن شهيد ، لأن رسائل ابن شهيد ذاعت في المشرق ودونها المؤلفون الشرقيون قبل أن يموت ابن شهيد وقبل أن تظهر رسالة الغفران فلا بد أن تكون قد انتهت إلى أبي العلا فتأثر بطريقتها ومضمونها وقام بمحاكاة ذلك بشكل أعمق (2) " ويرى مبارك أن التأثير بينهما واضح تمام ، فالموضوع واحد هو عرض المشاكل الأدبية والعقلية بطريقة قصصية حوارية ؛ وتقريبا نفس المصادر المتبعة في كليهما ، فالتوابع مصدرها التراث الثقافي العربي القائم على أساس الأسطورة إضافة إلى اقتباسه للمقامات بديع الزمان الهمذاني

1- أحمد أمين، **ظهر الإسلام** ج3، دار الكتاب العربي، بيروت، 1953 ، ص 290

2- ينظر: زكي مبارك ، **النثر الفني** ، ج1 ، ص259

أما مصدر الغفران فهو التراث الديني والقرآن الكريم والأحاديث النبوية خاصة فيما يخص حادثة الإسراء والمعراج ، بالإضافة إلى الأساطير العربية والملاحم التاريخية اليونانية ؛ أما بالنسبة للمسرح فيتفق في كونه في عالم آخر غيبي ويختلف في كونه عند ابن شهيد هو واد الجن بأرض الدنيا وهو عند أبي العلاء واد الإنس في الآخرة أي (الفردوس والجحيم(؛ بينما الشخصيات عند ابن شهيد ، جن يسخرون الناس ، وعند أبي العلاء إنس تسخرهم الملائكة والشياطين" (1)

ولربما كان هذا التشابه الواضح في موضع والتناقض الجلي في مواضع أخرى دليل تأثر بين الرسالتين ، كما قال البيومي : " ولن تجد موطنا أفسح ولا أوسع من رحلتين خياليتين قامت أولاهما في الأرض السابعة وارتفعت أخراهما إلى السماء العالية ثم ألا يكون هذا التناقض المعارض دليل التأثر الواضح حين يذكر الشيء بنقيضه كما يذكر بمثيله على السواء " (2)

ولهذا فليس من المستبعد أن تكون التوابع والزوابع قد أثرت في فكر أبي العلاء فأنشأ رسالة الغفران مع التغيير في مسرح الرسالة من عالم الجن إلى عالم الآخرة ، مع إمكانية تأثر كل منهما بمعجزة (الإسراء والمعراج.(

1- ينظر: زكي مبارك ، **النثر الفني** ، ج1 ، ص602

2- محمد رجب البيومي ، **الأدب الأندلسي بين التأثر والتأثير** ص 186 _ 187

الفصل الثاني

دانتي أليغييري

حياته وأدبه

دانتي أليغييري

حياته ونشأته :

دانتي أليغييري (1) هو أديب و شاعر إيطالي ، ولد فلورنسا في أواخر شهر ماي من عام 1265 ميلادي ، عمد باسم " تورنتي أليغييري " ، ومن المعاني التي تقال بتفسير اسمه حامل الجناح الباقي على الزمن ، وهوة من أسرة متواضعة ذات أصل روماني نبيل تدعى أسرة إيليزي التي ترجع إلى عهد يوليوس قيصر توفيت أمه دونا يبلا أباتي وهو في نحو السادسة من عمره ، وتوفي أبوه أليجييرو دي بلنتشوني وهو لم يكتمل دور الشباب بعد حب دانتي بسن التاسعة بياتريتشي " بياتريس " ابنة احد أثرياء فلورنسا ، لكنها تزوجت ثريا آخر ، ثم ماتت في عز شبابها فحزن دانتي لموتها حتى المرض وظل يمجدها بالكثير من أعماله الأدبية . تزوج فيما بعد جيما دوناتي من أسرة ذات نفوذ في المجتمع الفلورنسي ، وأنجب منها عدة أبناء ، عرف منها بيتر وجاكوبو بياتريتشي .

انصرف إلى الدراسة وتلقى التعليم السائد في عصره ، كما تردد على دير الفرنتشسكان هو دير دومينكان حيث درس تعليم القداس الدينية ، كما درس بعض الوقت في جامعتي بادوا و بلونيا . عكف دانتي على دراسة القانون والطب والموسيقى والتصوير والنحت والفلسفة والطبيعة والكيمياء والفلك والسياسة والتاريخ واللاهوت ، ودرس تراث اللاتين ، وألم بتراث اليونان والشرق وعرف ثقافة العصور الوسطى . هكذا كان دانتي رجل واسع الثقافة ، وكان يجد لذة كبرى في دراساته المتنوعة ، وفي قول الشعر مما خفف عنه معاناته مما واجهه من مصاعب الحياة ومحنها . ولم يقتصر على حياة الدرس والشعر ، بل اشترك بالحياة العسكرية فكان جنديا وطنيا لا يتأخر عن واجبه وقت الحرب ضد فلورنسا ، 1295 انخرط في العالم السياسي وكان ناشطا بالحياة السياسية العاصفة لفلورنسا حيث انضم إلى نقابة الأطباء والصيادلة اشترك ببعض اللجان والمجالس الحكومية وعين سفيرا في بعض المدن الإيطالية واشتهر كرجل سياسي نشط حتى اختير عضوا في مجلس السنوريا .

-1 انظر : ترجمة حسن عثمان ، **الكوميديا الإلهية الجحيم دانتي** ، ط2 ، دار المعارف ، القاهرة ، 2002، المقدمة ص13 _ 77 . وينظر : سناء شعلان ، مجلة أداب الفراهيدي ، ص110 - 112 وينظر : مصطفى آل عيال ، دانتي ، دار المعارف ، القاهرة ،1956.

الذي يمثل سلطة الحكومة العليا في فلورنسا وكان أحد أعضائها الستة سنة 1300 ميلادي واعتبر من أكفأ رجال السياسة في زمانه ، حاول الدفاع عن مصالح فلورنسا في وجه المطامع البابوية وعمل جاهدا على أن يوجد الوحدة السياسية فيها ، لكنه قوبل بالمعارضة وتغلب خصوم حزبه عليه وقضي بالنفي لمدة سنتين خارج فلورنسا عام 1302 وغرم بدفع غرامة مالية باهظة ومصادرة جميع أملاكه وكان ذنبه الحقيقي هو معارضة سياسة البابا .

وبدأ حياة المنفى والتشرد ، حيث قضى جزءا من عقوبة نفيه في فيرونا والجزء الأخر متنقلا بين مدن شمال ايطاليا ، ولقي أحيانا الترحاب وحسن الوفادة عند بعض الأمراء ، وعمل بعض الوقت سكرتيرا ونديما ودبلوماسيا ومعلما لكي يكسب قوته ، وعاش أحيانا أخرى فقيرا متشردا .

وفي عام 1316 ، عرضت عليه فلورنسا العودة إليها وفق شروط مهينة على أن يعترف بخطئه أمام الملأ ويقدم اعتذاره مطالبا السماح والمغفرة ، لكن دانتي رفض العودة ، رغم لهفته الشديدة على وطنه ، واعتبرها اهانة وإذلالا لكرامته . واستمر في منفاه إلى آخر عمره . ففي عام 1317 ، استقر برافنا بدعوة من أميرها " جويد نوفلو " وعهد إليه بالعمل أستاذا وسفيرا فيها وأصبح له أصدقاء وتلاميذ كثر وعلي شأنه من جديد بعد حياة التشرد والفقر التي مر بها ، وأضفت رافنا عليه الهدوء والسلام في أواخر أيامه .

وفي أحد رحلاته كسفير أصيب في طريقه بالملا ريا وتوفي على إثرها 31-14 سبتمبر 1321 وكان لموته الأثر الكبير حيث أعلن جويد نوفلو الحداد العام ، وألقى رثاءا أطرى فيه مزايا الشاعر العظيم .

وأدركت فلورنسا بعد أكثر من نصف قرن من وفاته ما ارتكبته في حق ابنها العبقري من الظلم والجحود ، حاولت أن تكفر عن خطيئتها فعهدت بتدريس " الكوميديا " للجمهور ،

وذاعت بالتدريس بين الناس وانتشر صيتها في جميع أنحاء إيطاليا وزاد إحساس فلورنسا بجحودها ، فحاولت أن تنقل رفاة الشاعر بدفنه في وطنه في حفل يليق به ، لكن رافنا عارضت أشد المعارضة وفقدت على إثرها رفاته ليعثر عليها بعد حوالي ستمائة سنة حيث كشفت سنة 1865 وأعيد دفنه بكنيسة براتسافورتي في حفل مهيب حضره مندوبو فلورنسا ، ونقش على تابوته :" ليست فلورنسا بل أهواء الحزبية هي التي حكمت علية

بالنفي الدائم " ، وأقامت رافنا برجا تذكاريا به ناقوس البرونز والفضة تخليدا لذكراه ، كما شيد في فلورنسا قبرا رمزيا له في كنيسة سانتا كروتشي سنة 1829 كتب عليه :" مجدوا الشاعر الأعظم " .

عصره:

عاش دانتي أليغييري النصف الثاني من القرن الثالث عشر ،والربع الأول من القرن الرابع عشر في عهد بدأت فيه العصور الوسطى تخفض فيه أشرعتها ، وينبثق خلاله فجر عصر جديد ، شمل أحداث وظروف طالت مختلف أوجه النشاط الإنساني ، ومهدت جميعا لظهور عصر النهضة بإيطاليا ، ساهمت في خلق عبقرية دانتي التي تجلت في إبداعاته .

فالأحوال السياسية والدينية والعلمية والأدبية التي سبقت ظهور دانتي امتزجت كلها وتفاعلت وعبرت جميعها عن الاتجاه لتغيير المجتمع والفكر الإنساني وتطوره ، وقد تطورت العصور الوسطى خلال هذه العوامل إلى عصر النهضة فالعصر الحديث ، ولقد كان لظروف الحياة ايطاليا العنيفة المتنوعة بحسناتها وسيئاتها ، أثرها الفعال في خلق أجيال من العباقرة الإيطاليين ، كانوا ثمرة العصر وبنائه على حد سواء ، وأخرجوا نتاجهم الرائع في الفكر والعلم والأدب والتصوير والنحت والعمارة والسياسة والحرب ..... ومن هؤلاء دانتي أليغييري الذي يعتبر واحد من أهم معالم عملية الانتقال من العصور الوسطى إلى عصر النهضة والفكر في إيطاليا .

بالإضافة إلى الأحداث الاجتماعية والسياسية التي عاصرها دانتي والتي أسهمت في إبداعاته الأدبية التي خلدت اسمه فإن لشخصيته الحظ الأكبر في ذلك أيضا ، فشخصية دانتي متعددة الجوانب ، تبدو فيها أمارات التعارض ، كان يدرس ، ويغني ، ويعزف الموسيقى ، ويرسم ، ويقول الشعر ، ويشتغل السياسة ، ويتمتع بالحياة و يزهد فيها ، ويبدو خجلا صامتا ومع ذلك فهو جريء شجاع لا يهب شيئا ، يبدو أحيانا مسيحيا وأحيانا وثنيا ، وتارة بابويا وطورا إمبراطوريا ، والمرأة عنده نصف إلهة تقوده إلى الله والفضيلة وهي نفسها من تدل كبريائه وتقوده إلى الشيطان ... كل هذا التناقض في شخصية دانتي جعله مبهما غامضا لم يفهمه أحد على حقيقته مما جعله يحث كثيرا من العباقرة ، بشعور العزلة والوحدة ، فهو لم يتمتع بحياة الأسرة لوفاة والديه مبكرا ، ولم تدرك حبيبته بياتريس قدره وحبه العظيم ، ولم يكن له من بين رفقاء الشباب صديق حقيقي ، هكذا كان

على دانتي أن يعيش أغلب حياته وحيدا حتى بين جموع الناس ، ويشقى بوحدته ويسعد ، فهو لم يعتزل الناس بل اختلط بهم وتغلغل في نفوسهم . ولجأ في وحدته الروحية إلى محراب الفن ، فكان له خير معتصم . وكانت الشدائد التي انصبت على دانتي هي بوتقة عبقريته ، فعندما تعرض للمعاناة وعندما فقد الأهل والوطن وسلام النفس ، وعندما تبخرت أمانيه ، وعندما انقلبت حياته من العز والرفاهية إلى النفي والتشرد والفقر لجأ إلى سلاح الفن والأدب الذي خلد اسمه بروائع أدبية أعادت له اعتباره عبر العصور من جحود أهل عصره .

فهو المعروف بالشاعر الأعلى وأبو اللغة الايطالية الذي ما زال يمجد صيته في الآداب العالمية إلى يومنا هذا .

مؤلفاته:

وعلى الرغم من أن أعمال دانتي تكشف عن معرفته الموسوعية التي ضمت جميع علوم عصره إلا أن القليل يعرف عن نشأته الثقافية ، فأول أعمال دانتي الأدبية كانت رواية (السيرة الذاتية) كتب بعدها عددا من المؤلفات الصغرى ، تعد من مراحل نموه الأدبي ، وتمهد لآيته الكبرى (الكوميديا الإلهية) ، أوله كان كتابه :

الحياة الجديدة : التي كتبها باللغة العامية نحو سنة 1293 ميلادي وهي عبارة عن قصة شبابه زاوج فيها بين الشعر والنثر ، وعبر فيها عن حبه لبياتريس وتمجيده لها اللغة العامية : كتب باللغة اللاتينية لخاصة المتعلمين ، أظهر فيه أنه رائد في ميدان اللغة ، وبين فيه الفارق بين اللاتينية والعامية .

الوليمة : كتب في الفترة بين (1308- 1306) وهو كتاب علم ومعرفة أتم منهم أربعة فصول وهو يحتوي على ثلاث قصائد يتلوها شرحها ، وقد عبر فيه عن مسائل العلم والفلسفة والنفس والأخلاق والسياسة .

الملكية : كتب باللغة اللاتينية ، تأثر فيه بفلسفة أرسطو و آراء رومان وبالكتاب المقدس وبشيء من فكر ابن رشد .

بالإضافة إلى) كتاب الضيف(وكتاب) مسألة الماء والتراب (وتبقى أعظم أعماله: **الكوميديا الإلهية** : وتتكون من ثلاثة أقسام ، كتاب الجحيم ، كتاب المطهر ، كتاب الفردوس . وقد أظهر فيها فكر أبناء فلورنسا كما تميزت بأسلوبها السلس البسيط .

وقفة تعريفية للكوميديا الإلهية :

الكوميديا الإلهية تعد أعظم ما تناوله قلم إيطالي مبدع ، وتعتبر البيان الأدبي الأعظم الذي أنتجته أوروبا أثناء العصور الوسطى ، وقاعدة اللغة الايطالية الحديثة ، وتعتبر تحفة من الأدب المسيحي الإيطالي وواحدة من قمم الآداب العالمية ." وكان دانتي قد سماها الكوميديا فحسب ، ثم أضيف وصف (الإلهية(بعده في طبعة 1555 ميلادي ، ويرجح أن الشاعر بدأ في نظمها في حوالي عام 1307 ميلادي ، واستمر في نظمها سنين كثيرة يصعب تحديدها " (1) "ويبدو أن دانتي أسماها الكوميديا بمعنى السخرية ، وهي السخرية من سخافة النظرة التعصبية المغلقة التي كانت تسود عقائد العصور الوسطى " (2) . "أما وصفها بالإلهية فلا يرجع إلى ما أورده دانتي من رؤيته لله في السموات العلا في آخر أنشودة الفردوس ، وإنما هي صفة تخلع مجازا في اللغة الايطالية على كل ما يبعث على الإعجاب و الروعة لإتقانه و كماله ، وبذلك تكون ترجمتها الصحيحة إلى اللغة العربية هي الكوميديا الرائعة أو الكوميديا المتقنة ، ولكن نظرا لان الخطأ الشائع المشهور يحل عادة محل ماهو صحيح مهجور ، فقد تركت التسمية كما هي." (3) وهي من الشعر الملحمي، ولكنها تختلف عنه بكونها لم تدر في إطار حماسي حربي (كملاحم الإلياذة لهوميروس ، والانياذة لفرجيل(وإنما كانت تدور في إطار جديد من القيم الإنسانية والسياسية التي يمارس فيها رجال الدين ضغوطهم لتغيير اتجاهاتها حسب أهوائهم ، واستغلالا لسلطتهم في ظلم الشعوب المسيحية وتسلطهم باسم الدين لتحقيق مصالح دنيوية وقد صاغها دانتي متحديا بها سلطة الكنيسة الكاثوليكية في عصره حتى قبل أنها أدخلت بهذا العمل التجاوزي لونا جديدا من الشعر الملحمي لم يسبق إليه أديب أوروبي " فهي نوعا فريد من الشعر ، وليس لها نظير فيما سبق وفيما تلى من القصائد الطويلة ، من ناحية بنائها العام ، ومضمونها الشامل المتنوع ، وهدفها في الدنيا والآخرة " (4)

-1 غنيمي هلال ، **الفن ومذاهبه في النثر العربي** ، ص 276

2- مقدمة ، دانتي : **الكوميديا الإلهية** ، ترجمة حنا عبود ، ط1 ، وزارة الإعلام ، دمشق ، 2002، ص 30

3- سمير الجندي، **الإبداع عند المعري في رسالة الغفران**، دنيا الوطن، القدس، 2009

4- مقدمة ، دانتي **: الكوميديا الإلهية الجحيم** ، ترجمة حسن عثمان ، ص62

فكوميديا دانتي لون من الخيال الذي جسده إلى حقيقة ، صحب أحداثه فيها من العالم الدنيوي إلى الأخروي ، مارا بالجحيم وألوان العذاب فيه ، ثم يصل إلى المطهر ويرى فيها التائبين وكيف يكفرون عن خطاياهم ، وفي النهاية ، يصل في رحلته إلى الفردوس ليشاهد صنوف النعيم . وتتكون هذه الملحمة الدينية كما يسميها البعض من ثلاثة أجزاء : الجحيم ، والمطهر ، والفردوس وقد سار دانتي في ملحمته على النسق الثلاثي على اعتبار أن الوحدانية تؤمن بالأقانيم الثلاثة ، وكل جزء من الأجزاء الثلاثة يشتمل على ثلاثة وثلاثين نشيدا ، وهو عمر المسيح ، يضاف إليه مدخل الجحيم ، فالملحمة إذا تتكون من مائة نشيد ، وكل بيت من هذا النشيد يتكون من أحد عشر مقطعا ، وتسير على أبياتها الثلاثية على شكل وحدات وموجات مترابطة متتابعة ، الواحدة في إثر الأخرى"(1) . وكان دانتي أول من ابتدع هذه الطريقة في كتابة الشعر ، وأناشيدها متقاربة الطول ، وأقسامها الثلاثة متساوية الطول على وجه التقريب ، حيث تبلغ الجحيم 4710 بيتا ، وهو النشيد الأول والبالغ أربعة وثلاثون أنشودة ، وتبدأ الأنشودة الأولى ب:

"في منتصف طريق حياتنا ، وجدت نفسي في غابة مظلمة ، إذ ظللت سواء السبيل ، آه ، ما أصعب وصف هذه الغابة الموحشة الكثيفة القاسية ، التي تجدد ذكراها لي الخوف" (2)
والمطهر 4755 بيتا ،وهوة النشيد الثاني والبالغ ثلاثة وثلاثون أنشودة وتبدأ الأنشودة الأولى فيه :

"الآن يرفع زورق فكري أشرعته ، لكي يجري على مياه أهدأ ، تاركا وراءه خضما وسأتغنى بتلك المملكة الثانية حيث تطهر الروح الإنسانية ، وتصبح جديرة بالصعود إلى السماء (3) "

والفردوس 4758 بيتا ،وهي النشيد الثالث والبالغ ثلاثة وثلاثون أنشودة ، وتبدأ الأنشودة الأولى منه:

1- ينظر : سناء شعلان ، مجلة أدب الفراهيدي ، ص110

2- دانتي ، **الكوميديا الإلهية الجحيم** ، ص 82

3 دانتي ، **الكوميديا الإلهية المطهر**،دار المعارف ، مصر 1964 ص 56

" إن مجد من يحرك الكائنات يتغلغل في أرجاء العالم ، ويزداد بهاؤه في جانب ويقل في سائر الجوانب " (1)

ومجموعها 14233 بيتا ، وهي رحلة خيالية إلى العالم الآخر ، استغرقت في نظر أغلب النقاد سبعة أيام ، وبدأت في مساء الخميس ليلة الجمعة 7-8 أبريل 1300 وانتهت يوم الخميس 14 أبريل واستغرقت زيارة دانتي للجحيم حوالي 48 ساعة ، وزيارة المطهر أربعة أيام ، واستغرقت زيارة الفردوس نهارا واحدا ، وكان الزمن الباقي العبور بين الجحيم والمطهر والفردوس" (2)"والجحيم في الملحمة هو مملكة العقاب والبؤس الأبديين وهو عبارة عن برميل كبير على شكل مدرج ، تتوزع فيه دوائر تجمع الهالكين ، وفق جسامة خطاياهم .

أما المطهر ، وهو جبل عال يرتفع من الأوقبنوس الجنوبي مقابل أورشليم ، ومكلل بالفردوس ، فيجمع على تلاله السبع النفوس التي في طور التطهر ، وعليها يهيمن أمل الخلاص ، ممزوجا بالتذكارات الحزينة ، والحنين إلى السماء .

أما الفردوس يحتوي على تسع كرات متحدة المركز تدور من سريع إلى أسرع حول الأرض ، ويبدو الطوباويون الموزعون في مختلف الدوائر مجتمعين فالوردة السماوية التي هي تاج الله " : (3)

وتبدأ الملحمة مذ يضل دانتي الطريق في غابة مظلمة) رمز الضلالة (وهو في سن الخامسة والثلاثين فحاول الخروج منها بتسلق أحد تلالها المشمسة (رمز المحبة الإلهية(، لكن اعترض طريقه فهد (رمز الخداع) وأسد)رمز العدو (، وذئب)رمز الشهوة(، فيهرب منهم جميعا ، ويظهر له شبح الشاعر اللاتيني الشهير فيرجيل (رمز العقل(، ليرشده إلى طريق آخر للوصول حيث يمر بالجحيم ثم المطهر وأخبره أن حبيبته بياتريتشي (رمز الإيمان(هي من أوفدته إليه لينقذه وليصحبه عبر هذه الطريق. (4)

-1دانتي : **الكوميديا الإلهية الفردوس**، ترجمة حسن عثمان، دار المعارف ، مصر

-2 دانتي : **الكوميديا الإلهية الجحيم** ، ترجمة حسن عثمان، ص62

3- سناء شعلان ، مجلة أدب الفراهيدي ، ص110-111

4- دانتي، **الكوميديا الإلهية** ، ترجمة :حنا عبود ، ص 37

فيخوض معه رحلة عجيبة حيث لا يفتأ يشجعه ، ويهون عليه ما يرى ويسمع ويذلل له ما يصادفه من عقبات حتى يواصل المضي في رحلته بدءا بالجحيم وهو وادي الظلمات ووادي المهاوي الأليم حيث يهوى الإنسان الذي لا يحيا حياة الحكمة في معناها الإنساني والاجتماعي ، وهذا الجحيم في باطن الأرض في أبعد مكان من عرش الإله. ويدخل دانتي من باب الجحيم بصحبة مرشده فيرجيل ، فيجدان نفسيهما في واد به أناس يصرخون فيبحران في زورق في نهر من الحمم موصل إلى طبقات جهنم السفلى ليقص دانتي أهوال ما صادفه ويصف طبوغرافية الجحيم حيث يصلان معا إلى الطبقة الأولى ، ممن يقيمون فيها الشعراء والعلماء الذين ساعدوا على رقي الإنسانية ولكنهم ليسوا مؤمنين ومنهم فيرجيل وابن سينا وابن رشد . وفي الثانية المترفون تدور بهم عاصفة لا تهدأ . والثالثة الشريهون بطونهم إلى الأرض يفترسهم الوحش ذو الحلاقيم الثلاثة . والرابعة البخلاء والمترفون يدحرجون الصخور وهم متشائمون . والخامسة الغضبان يمزق بعضهم بعضا بأسنانهم في وحل مستنقعات نهر إستيكسا . وفي السادسة الملحدون والمتكبرون . وفي السابعة يعاقب المتمردون الجبابرة والسفاكون . وفي الثامنة الحفرة اللعينة للغشاشين والمزيفين والخائنين أوطانهم وأهليهم . وفي الدرك الأسفل الشيطان في أبعد منطقة من الله وهي منطقة الزمهرير .

يتجه دانتي ومرشده بعدها إلى المطهر نحو أهل اليمين تاركين أهل اليسار في العذاب المهين . وهو جبل في الأرض مرتفع ، مقابل لمنطقة الجحيم مركز الأرض .

وعندما يصلان إلى المطهر يشعران بالهدوء التام ويبدءان باستنشاق هواء نقي ونسيم عليل تحت زرقة سماء صافية ، وفي المطهر المذنبون يكفرون عن سيئاتهم ويختلفون عن سكان الجحيم بأنهم تائبون وكلما نجد أرواح من المطهرين انطلقت إلى عالم الخلد ، ويتكون هذا المطهر من سبع دوائر تختص كل واحدة منها بخطيئة من خطايا السبع الكبرى التي نصت عليها المسيحية .

ومن قمة جبل المطهر يظهر الفردوس الذي تصعد إليه الأرواح التي تطهرت من أدرانها ، ثم يجتاز دانتي ورفيقه سورا من اللهب ضرب بين المطهر والفردوس فيجدان أجمل الحدائق الغناء .

وفي قمة الجنة الأرضية تظهر بياتريتشي حبيبة الشاعر التي أحبها حبا خالصا طاهرا خالدا وفي هذه اللحظة تنتهي مهمة فيرجيل فيختفي تاركا دانتي بين يدي بياتريتشي لتسير به بين دوائر الجن لكن قبل أن يلج الفردوس يغطس في نهر النسيان ليصبح جديرا برؤية الله ويصعد دانتي مع رفيقته لتصحبه إلى السماوات السبع عبر تسع أفلاك أو نجوم :

الفلك الأول هو فلك القمر حيث تقيم فيه أرواح البررة.

والفلك الثاني هو فلك عطارد وتعيش فيه أرواح أهل الجد من المشرعين والحكام

والفلك الثالث هو فلك فينوس ويضم أرواح أهل الزهد

والفلك الرابع هو الشمس وفيه أرواح علماء الكنيسة في هيئة تيجان من نور

والفلك الخامس هو فلك المريخ الذي تقطنه أرواح الشهداء

والفلك السادس هو فلك المشتري أو جوبيتر تسكنه أرواح أهل العدل من الملوك

والفلك السابع هو فلك زحل أو ساتورن و تسكنه أرواح المتصوفين

والفلك الثامن هو فلك النجوم الثابتة وتبدو فيه عظمة المسيح وجلال قدره وهو جالس بين القديسين والأولياء.

ثم يصعد الشاعر الفلورنسي إلى الفلك التاسع (الامبريوم) فيتمتع بمشاهدة الوهر الإلهي حيث بهاء الذات العلية التي طغى سنا نورها على عقله وذاكرته فجعله عاجزا عن وصف ما رأى وينشغل عن حبيبته بعد أن أوصله حبها الطاهر إلى درجات الأطهار المحبين لله .

وبذلك تنتهي رحلة دانتي وتنتهي كوميدياه .

والملحمة تصوير رمزي لسعي الإنسان إلى خالقه ، ورجوعه إليه ، وظفره بالتوبة والمغفرة والخلاص ،" وعلى ذلك فإنها إحدى المحاولات الهائلة التي قام بها شاعر لإصلاح الإنسانية ، وهي معجزة من الشعر أراد واضعها أن يقوم بمعجزة روحية لإصلاح البشرية" (1)

1- دانتي ، **الكوميديا الإلهية** ، الجحيم ، مقدمة ، ص64

فالكوميديا كاتدرائية ضخمة وعمارة شاهقة ، متناسقة البناء مترابطة الأجزاء ، يعتمد فيها السابق واللاحق بعضها على بعض ، وجعل دانتي فيها الإنسان والدنيا والآخرة والله في بؤرة واحدة ، ووضع في إطارها العام كل المعارف والجزئيات الدقيقة المادية والمعنوية ، واستمد دانتي ذلك من ثقافته الواسعة ، من الميثولوجيا ، وحضارة القدماء ، وتراث المسيحية ... ومن ظروف الحياة التي عاشها ، ومن إحساسه المرهق الذي لم يكد يحسه إنسان .

ألغى دانتي في الكوميديا ، فوارق الزمان والمكان ، ومزج بين الأسطورة والتاريخ ، بين الواقع والخيال وقدم بريشة الفنان صورا مأخوذة من الحياة الواقعة"

وقد ترجمت الكوميديا إلى كثير من لغات الدنيا، ونالت شهرة طبقت الآفاق. وما برح هذا الإبداع يستنطق الحداثة الشعرية العالمية ويثير في مختلف اللغات الترجمة تلوى الأخرى. و قد كتب دانتي نفسه أن عمله قابل لقراءات متعددة، حرفية، ورمزية، شعرية ولاهوتية...

مصادر تأثر الكوميديا الإلهية:

المصادر الغربية:

ولد الأدب الإيطالي من الأدب اللاتيني ورثة تقاليد الأدب اليوناني القديم ، فشبه الجزيرة الإيطالية هي أرض للثقافة اللاتينية ، ويوجد بها العديد من المدن الاستعمارية اليونانية . كان الشعراء والكتاب الإيطاليون على دراية بالأدب الكلاسيكي عند الدفاع عن الابتكار ، والعودة إلى التقاليد فهي واحدة من السمات الرئيسية التي تربط أدب هذه الأجيال الثلاثة (اليونان القديمة ، اللاتينية والايطالية(وهي تفوق الشعر كشكل من أشكال التعبير . فمنذ العصور الوسطى المتأخرة إلى عصر النهضة تم إنشاء صفات الأدب الإيطالي من كل من الشعر الملحمي والشعر الغنائي ، والعودة باستمرار إلى أساليب ومواضيع الأدب الكلاسيكي ؛ وهو ما سار عليه دانتي في ملحمته حيث كان أثر التراث اليوناني واللاتيني واضحا ومباشرا فهناك استحضار لكبار شخصيات هذا التراث وعلى رأسهم فيرجيل الشاعر العظيم حيث كان مرشده في رحلته عبر الجحيم ثم المطهر .

أثر الإلياذة والأوديسة لهوميروس في الكوميديا :

يعتبر الأدباء والشعراء الإيطاليون التراث اليوناني منبع إلهامهم الأساس الذي ترتكز عليه أعمالهم "سواء في الأخذ من الأدب اليوناني والبناء على أساسه واعتناق مبادئه التي دان بها في تصوير الحياة وتحليل النفوس وعبادة الجمال " (1)

فالإلياذة اليونانية هي ملحمة شعرية تحكي قصة طروادة وتعتبر مع الأوديسة أهم ملحمة شعرية إغريقية للشاعر الأعمى هوميروس وقد انتقل هذا الجنس الأدبي بخصائصه وطابعه السابق من الأدب اليوناني إلى الأدب اللاتيني فالأدب الإيطالي والعالمي بالعموم فالكوميديا الإلهية قد صممت على نفس قالبه ونفس منهجه. فهوميروس شاعر ملحمي إغريقي أسطوري ومن نسج خيالي كما يؤيد ذلك الباحثون المعاصرون الذين نسجوا الرحلات الخيالية إلى العالم الآخر حيث أصبحت فكرة إنسانية مشتركة تحدثت بها أعمالهم العظيمة كالكوميديا) الملهاة (الإلهية لدانتي فهو الأخر نسج أفكاره بشعر ملحمي يحتوي على نظرة خيالية في الاستعانة بالعناصر المجازية حول الآخرة حسب الديانة المسيحية ، وإلى جانب السرد والرسم كان لتأثير التحليل والتنبؤ الذين كانا موقعهما بارزا في ملاحم هوميروس واضحا في ملهاة دانتي.

فالكوميديا هي حاضر المستقبل ، إذا أردنا استعمال مقولات القديس أوغسطين وهذا هو البعد الأخير للكوميديا الإلهية في صفحاتها التنبؤية مثلما حدث حينما التقى في الجنة كاسيغيدا سلف دانتي وحينما يتكهن بمستقبل فلورنسا

"والمشهور عن دانتي أنه لم يكن يعرف اليونانية ، ولكن هذا لم يمنعه من الاطلاع على الأدب اليوناني إطلاعا كان ذا أثر كبير في تكوينه الأدبي ، ومما لا شك فيه أن دانتي قرأ ما قرأ من أدب اليونان في التراجم التي قام بها مواطنه الشاعر الكبير) أوفيد(، تلك التراجم الخالدة التي حفظت لنا جانبا كبيرا من أساطير الإغريق وتراثهم الأدبي (2) "

1- فخري أبو السعود ، مجلة الرسالة ، العدد 186 ،1937 ، www.alamtologia.com

2- المرجع نفسه

أثر الإنياذة لفرجيليوس في الكوميديا :

تعتبر الإنياذة من الأعمال الملحمية الراقية ومن تراث الإنسانية الخالد ، وشاعرها لفرجيليوس أمير الشعر اللاتيني ، يتناول في ملحمته التاريخ الروماني وبطلها أبنياس بطل طروادة وبعد سقوطها وهروبه منها بأمر من الآلهة تقوم برحلة طويلة متشردا حالما بطروادة جديدة ليصل في الأخير إلى إيطاليا لتقوده إحدى الكاهنات إلى العالم السفلي (عالم الآخرة (بعد أن تزوده الغصن الذهبي السحري ، وهناك يلتقي بالكثيرين ومنهم حبيبته الملكة ديدو والتي انتحرت حزنا ويأسا من فراقه لها ، ويلتقي بوالده في الأليسيوم (مقام السعداء والمباركين(، فيطلعه أبوه على الأرواح التي ستولد يوما في روما ثم تنمو وتصبح رجالات روما العظام .

والشبه واضح بين الإنياذة والكوميديا الإلهية إلى حد بعيد فكلاهما يعرضان مشاهد عن العالم الآخر ، وقبل ذلك فإن هناك شبه في مسيرة كلا من البطل الطروادي وبين ما مر به دانتي من أحداث في حياته حيث عاش متشردا طامحا في فلورنسا جديدة وانتهى به المطاف في رحلة إلى عالم الآخرة . كذلك كل من بطلي الإنياذة والكوميديا يلتقيان في العالم الآخر بحبيبتهما التي حرما منها في حياتهما ؛ كما يجمعهما الرؤيا المستقبلية التنبؤية التي تميز مضمون الرحلتين ، وعليه فإن التأثير هنا كان جليا ومباشرا جسده دانتي في ملحمته بجعل لفرجيليوس صاحب الإنياذة من الشخصيات الرئيسية في كوميدياه فهو كأنه يمشي على نفس خطاه ، فهو قد اقتفى أثر فرجيل في الإنياذة وذلك عندما تحدث عن الصلة بالعالم الآخر ومع ذلك فإن لدانتي أصالته في الصور الفنية ، وفي وصفه لعصره ، وفي الرمزية التي لجأ إليها .

المصادر العربية والإسلامية :

تأثر دانتي بمصادر عربية في كتابة الكوميديا الإلهية استنادا إلى بحوث غربية شرحت مصادر دانتي العربية في ملحمته ، ومن أهمها ذلك المجلد الكبير الذي كتبه القس الأسباني ميغيل آسين بلاثيوس في مدريد عام 1919 ، وشرح فيه مصادر دانتي العربية ، وكيف تأثر مباشرة بالإسراء والمعراج ، وشرح كيف أفاد دانتي من مصادر عربية أخرى مثل " الفتوحات المكية " لمحي الدين بن عربي ، و "رسالة الغفران" للمعري .وقد سعى من خلال هذا الكتاب إلى إثبات العلاقة الوثيقة بين كوميديا دانتي والأدب الإسلامي عموما ، الديني وغير الديني .

وقد اختلفت الآراء وتضاربت المزاعم كل التضارب في ما يخص الأصول المشرقية والإسلامية للكوميديا الإلهية بما فيها من أثار شرقية إسلامية تؤكد مدى تأثرها بالتراث الإسلامي في كثير من مصادره ، وعليه يستبين أن تلك الفكرة التي سيطرت على دانتي وحفزته إلى استعراض معارفه وعلمه الغزير ، على حساب المظهر الفني لعمله ، لها ما يقابلها في القصة الإسلامية .

أثر قصة الإسراء والمعراج في الكوميديا :

وتقص رحلة الإسراء والمعراج عن ارتقاء الرسول صلى الله عليه وسلم المعراج إلى السماء ، و وعروجه إلى السماوات حتى وصوله إلى السماء السابعة ووصوله إلى سدرة المنتهى وعودته إلى الأرض بعد رؤية الفردوس والجحيم وما فيهما من نعيم وعذاب.

"ولقد عكف المستشرق الأسباني بلاثيوس على الكوميديا الإلهية بحثا ودراسة وأعطى قضية التأثير اهتماما كبيرا حتى استطاع من خلال مقارنة متأنية أن يجد مشابهة كبيرة بينها وبين ما جاء في حديث الإسراء والمعراج ، بل وما جاء في القرآن عن الجنة والنار وقد تبين لبلاثيوس أن ثمة مشابهات وثيقة بين الكوميديا وما ورد في بعض الكتب الإسلامية عن معراج النبي صلى الله عليه وسلم (1)

1- ينظر : د. محمد سعيد ، **الأدب المقارن** ، دراسات تطبيقية في الأدبين العربي والفارسي ، ص85

"ومن ثم أعلن في كتابه الشهير (فكرة الحشر والنشر الإسلامية في كوميديا دانتي(أن للكوميديا جذور إسلامية واضحة وبينة ، بل تكاد في بعض أجزائها تقوم على تلك الجذور"(1) ويذكر فيه أن إحدى القصص التي حكيت عن رحلة الإسراء والمعراج بما تشتمل عليه من أحداث وشخصيات لا تختلف كثيرا عن تصميم الكوميديا ، فقد تصور دانتي أيضا منازل السماء مليئة بالصالحين الذين يناقشون فيما بينهم أو تناقش دانتي ذاته في ما يخص الدين والفلسفة ، لكن دانتي كان يتخيلهم مسيحيين ، ويشير إلى أن القصة الإسلامية في آخر مراحل تطورها لا يمكن أن تقارن من حيث الفن الشعري بالكوميديا الإلهية ، ولا يمكن إنكار التشابه بين القصتين من حيث سياق الحدث العام ، ودور الشخصيات على أنه وقع الصدفة .

ويذكر الكتاب أيضا بعض أوجه التشابه بين رواية الإسراء ورواية دانتي ، منها أن النبي محمد هو الذي يروي القصة كما فعل دانتي ، وأن ظهور فيرجيل أمام دانتي كظهور جبريل أمام النبي محمد ، ويتطابق أيضا في تصميم الروايتين ، تصميم الجحيم ، حيث يصور على هيئة قمع كبير يتكون من عدة طبقات كل طابق مخصص لفئة من الهالكين ، حسب درجة الجرم الذي ارتكبه .

ويستغرق المؤلف في ذكر تفاصيل أكثر تربط بين الروايتين بعضها ببعض ، خاصة تفاصيل تقارب أشكال العقاب في الجحيم ، ويضيف أنه حتى الصور الرمزية بين القصتين تتشابه في الرمز والمعنى فمثلا المرأة التي حاولت إغواء دانتي في الدائرة الرابعة من دوائر المطهر ، تكاد تكون صورة مطابقة للعجوز ناشرة شعرها التي حاولت أن تغري النبي محمد في بداية رحلته ، كما اتفق جبريل وفرجيل على أن هذه المرأة لكليهما ترمز إلى فتن الدنيا الباطلة ، كما أن تصميم الجنة في القصة الإسلامية وفي كوميديا دانتي متطابقة ، عشرات التشابهات في الصور والمعنى والرمزية يسردها بلاثيوس في عمله .

1- ينظر : صلاح فضل ، **تأثير الثقافة الإسلامية في كوميديا دانتي** ، ط2 ، مؤسسة شباب الجامعة ، مصر 1985 ، ص38_42

وقد تأكدت مسألة تأثر دانتي بالتراث الإسلامي . وعدت هذه الوثيقة هي الدليل الحاسم الذي كان ينقص نظرية) بلاثيوس(في تأثير التراث الإسلامي على دانتي ، وعرف العالم من هذه الوثيقة أن ملك إسبانيا ألفنسو العاشر أو المعروف بالحكيم كان قد أمر طبيبا يهودية يعمل في بلاطه ، ويدعى (أبراهام الحكيم) بترجمة قصة المعراج الإسلامية من العربية إلى الاسبانية عام 1263 م ، وأن هذه الترجمة كانت أصلا لترجمة أخرى إلى اللاتينية والفرنسية قام بها مترجم وموثق ايطالي كان يعمل بنفس البلاط ، وهو (بوينافينتورا ديسينا (في العام التالي ، أي قبل أن يولد دانتي لسنة واحدة. (1)

وعلى مدى التشابه بين الكوميديا الإلهية ، وقصة الإسراء والمعراج بما لا يدع مجال للشك أو بما لا يمكن تفسيره بالصدفة وتوارد الخواطر ، هو ما نجده في مثل هذه الجزئيات التي يلخصها الدكتور غنيمي هلال ويقارن بينها وبين المخطوطة العربية الأصل :

1-إن دانتي في وصفه للجحيم يرى أنها في أرض متوارية تحت هذه الأرض ممتلئة نارا وفي الدرك الأسفل منها الشيطان ، وهذا مطابق تماما لما في المخطوطة العربية ، الفصل الثالث و الخامس والحادي والستون .

-2 مهمة من يصحبون الرسول في رحلته من الملائكة شرح وإجابة على كل ما يثير في نفسه قلقا ، وهي نفس مهمة من يصحبون دانتي.

3- رؤية الله في ملحمة دانتي تتم في السماء الثامنة حيث العرش تحيط به تسع صفوف دائرية من الملائكة ، وهنا لا يستطيع دانتي الإبصار ويعترف بعجزه عن وصف هذا المنظر الذي يفوق كل ما يتوقعه البشر ، ولكن حيث يعجز بصره يشعر بالنشوة والفرح والراحة الروحية تغزو نفسه ، وهو ما ينطبق مع ما في قصة المعراج في المخطوطة السابقة الذكر في الفصول (19-24) وفي(49- 50) (2)

1- عبد المطلب صالح ، **دانتي ومصادره العربية والإسلامية** ، الموسوعة الصغيرة ، ط1 ، منشورات وزارة الثقافة والفنون ، بغداد 1978 ، ص 24

-2 ينظر: غنيمي هلال ، **الأدب المقارن** ،

أثر رسائل ابن عربي في الكوميديا :

لعل من أبرز ما يجسد تأثير ابن عربي* في الغرب عامة وفي دانتي خاصة قول المستشرق لاندو :

"إنه أحد المفكرين الأكثر أصالة عند العالم الغربي ، أحدث تركيبا موفقا ما بين الصوفية والفلسفة ، كان مؤلف خصب الإنتاج ، وضع الفلسفة اللاثنائية ، حل معظم المشكلات التي أعيت من سبقوه ... فتن معظم المتصوفة والمفكرين المسيحيين وأثر فيهم ، كما أثر في بعض المفكرين النصارى مثل برونيتو لاتيني ، ودانتي الذي يبدو أنه اقتبس كثيرا من مفاهيم ابن عربي للجنة والنار" (1)

وعلى الرغم من أنه لم يثبت تاريخيا اطلاع دانتي على أعمال ابن عربي خاصة خلال تاريخه ، إلا أن هذا لا يمنع وصول الثقافة الصوفية الإسلامية إليه عن طريق الترجمات من العربية إلى اللاتينية والتي شملت الكثير من المفكرين المسلمين ، والأكيد أن هناك تشابها لا لبس فيه بين الكوميديا الإلهية لدانتي وبين فصل من فصول كتاب الفتوحات المكية لابن عربي الذي استخدم فيه فكرة المعراج لبطلين وهما رجل دين وفيلسوف ، تحت عنوان "كيمياء السعادة (2) "إذ يصف ابن عربي رحلة الأرواح لمعرفة جوهر بدايتها وهو الحق ومعرفة الخالق ، لتصل في النهاية إلى السعادة الأبدية ، وذلك من خلال حكاية مجازية صوفية عن رجلين مسافرين إلى الله تعالى ، أحدهما يشق طريقه إليه بالإيمان ، والأخر يشق طريه إليه بالفلسفة والعقل ، وترمز المراحل الأولى من الرحلة إلى كمال الأرواح وسعادتها ، وذلك قبل الوصول إلى المعارج السماوية .

ويبدأ المعراج السماوي عند ابن عربي بنفس المراحل التي مر بها النبي محمد صلى الله عليه وسلم في معراجه، من خلال مراحل سبع، وهي عدد السماوات الفلكية ، سماء القمر وعطارد والزهرة والشمس والمريخ والمشتري وزحل .

---

* ابن عربي (560-648 هو محمد ابن علي بن محمد بن عبد الله الحاتمي يكنى أبا بكر ويلقب بمحي الدين وهو فيلسوف متصوف أندلسي

1- ابن عربي ، **لطائف الأسرار** ، تحقيق أحمد زكي عطية و طه عبد الباقي سرور ، دار القلم العربي ، 1961، مقدمة المحقق

2- ينظر : ابن عربي ، **الفتوحات المكية** ، ج2 ، الفصل 167 ، ص 375- 356

ليصل المسافران إلى وجهتهما في نفس التوقيت تماما أحدهما قد وصل بنور الإيمان الإلهي،والآخر على براقه الخاص ، والذي يرمز إلى العقل ، إلا أن المسافر الصوفي يستطيع في نهاية رحلته من الوصول إلى الرؤية العظمى ، إذ يتأمل بالتدريج كمال الذات الإلهية ويتعرف على أسرارها ، وهو ما يحرم منه المفكر بالعقل والحجة والبرهان .(1)

وعليه فإن المقارنة بين معراج دانتي ومعراج ابن عربي نجد الكثير من أوجه الشبه بين القصة الصوفية وملحمة دانتي الشعرية ، خاصة مع تعدد المعاني للكوميديا الإلهية ، فكل منهما يعتبر رحلته هي رمز للحياة في هذا العالم المادي ، وأن وجودنا في هذا العالم ما هو سوى رحلة هدفها الحقيقي الارتقاء بالروح ، كي يستحق في النهاية السعادة الأخيرة التي تتوج بالرؤية الإلهية .

" إذا فكل من قصة ابن عربي وقصيدة دانتي تتشابهان في مادة الصياغة ، والأحداث ، والمرمى الرمزي ، وفي شخصياتها الرئيسية والثانوية ، وفي تصميم سماوات النظام الفلكي ، وفي الاتجاه التعليمي للأفكار التي قدمها كل منهما ، وفي استخدام الأساليب الأدبية لإخراج موسوعة معارف قومية . وفضلا عن هذه المتشابهات لا ينبغي أن ننسى التشابه في الإبداع الأدبي والفني لكل من العملين (2) "

ونحن إزاء كل هذه المتشابهات نرى أن قصة ابن عربي هي أقرب المؤلفات العربية إلى فردوس دانتي خاصة وإلى عروج دانتي في كوميدياه عامة ، فقد جعل دانتي من ملحمته مبحثا علميا أخلاقيا حقيقيا ، بتلك البحوث الفلسفية واللاهوتية المطولة وما أليها ، التي وضعها على لسان بياتريتشي وغيرها بقصد تثقيف هذا الزائر الذي يجتاز السماوات ، وكذلك لجأ ابن عربي إلى منهج شبيه لعرض مشكلاته الفلسفية والصوفية ، عندما عمد إلى أن يجعل الأنبياء يناقشونه مناقشات مطولة ومعقدة .

1- ينظر : **الفتوحات المكية** ، ج2 ، الفصل 167 ، ص 375 _ 356

2- ميغيل آسين ، **أثر الإسلام بالكوميديا الإلهية** ، ص 65

نلاحظ نظرة دانتي للمرأة كرمز للإيمان و الإلهام وليس باعتبارها أداة للمتعة الجنسية فحسب وإنما بنظرة صوفية روحية نبيلة وهي نظرة غريبة على الثقافة الأوروبية التي استمدها من نظرة الصوفية للمرأة في الشعر العذري الإسلامي والذي ازدهر في الأندلس.

أثر رسالة الغفران في الكوميديا الإلهية:

بعد نشر المستشرق الاسباني آسين بلاثيوس كتابه " اثر الإسلام في الكوميديا الإلهية"، سنة 1919 م، الذي برهن فيه على قيام صلة وثيقة بين كوميديا دانتي وبين التراث الإسلامي عامة ، وبينها وبين قصة المعراج النبوي والتصورات والمعتقدات الصوفية عند ابن عربي خاصة، بتتبع أوجه الشبه بين الكوميديا وبين هذا التراث؛ وبعد عثور الباحث الاسباني خوسيه مونيوث ساندينو على ثلاث مخطوطات لترجمة قصة المعراج الإسلامية العربية إلى القشتالية واللاتينية والفرنسية القديمة التي تمت بأمر الملك الإسباني ألفونسو الحكيم عن الأصل العربي، نشرها في مدريد سنة 1949م؛ وبعد نشر الباحث الايطالي انريكو تشيروللي - في العام نفسه- ترجمة ايطالية لتلك النصوص (1)
بعد هذا كله لم يعد ثمة مجال للشك في حقيقة تأثر الشاعر الإيطالي في عمله الفني هذا بالتراث العربي الإسلامي متمثلا في قصة المعراج، فقد حسمت هذه القضية على أيدي المستشرقين الغربيين أنفسهم منذ ما يقارب قرن. ولكن المجال مازال متاحا للحديث عن مدى تأثر دانتي في عمله برسالة الغفران أبي العلاء المعري؛ حيث تتقاطع غالبية الأفكار الواردة في العملين، فيتلاقى الفكر الشرقي والغربي في البحث عن الحقيقة في ملحمة دانتي ، هذا التلاقي الذي أكد غالبية الباحثين وجوده بجلاء في ملهاة دانتي بشكل مباشر و غير مباشر، وبالتحديد تأثره البين بما ورد في كتاب أبي العلاء المعري (رسالة الغفران) ، فهناك تشابه واضح بين العملين وهذا التشابه دار حوله الكثير من النقاش والحديث في آراء مختلفة ." وثار جدل واسع حول مدى تأثر دانتي بالمعري رغم اختلاف الزمان والثقافة بين الرجلين ، وكان المستشرقون الأوروبيون هم أول من لفت الانتباه إلى هذه العلاقة حيث عثر المستشرق الإنجليزي (نيكسون) على نسخة مخطوطة من رسالة الغفران فعمل على نشر ملخص الجزء الأول في عام 1900م ثم الجزء الثاني في عام 1902م ، ثم قدم المستشرق الإسباني (ميغيل آسين بلاثيوس) بحثا لمؤتمر الاستشراق في مدريد أذاع فيه أن الكوميديا الإلهية متأثرة تأثرا كبيرا بمصدرين:

1- دانتي: **الكوميديا الإلهية**، ترجمة: حسن عثمان، ص 60-59

إسلامي هو قصة الإسراء و المعراج للرسول -صلى الله عليه وسلم- و عربي هو رسالة الغفران للمعري وأكد بلاثيوس أن دانتي قرأ هذين المصدرين من خلال ما ترجم في عصره عن معراج الرسول وما وصفه من رحلة النعيم و العذاب . ومن رائعة المعري (الغفران) التي انتقل فيها بخياله إلى الجنة والنار وأجرى فيها محاورات مع شعراء جاهليين وإسلاميين على لسان ابن القارح دليل المعري للعالم الآخر " (1)

فمن الناحية التاريخية المحض لا يوجد ما يمنع من تأثر دانتي بالمعري؛ إذا علمنا أن رسالة الغفران ظهرت إلى الوجود قبل ظهور الملهاة بحوالي ثلاث قرون، زد إلى ذلك أن سبل اتصال دانتي بالثقافة العربية كانت عديدة وممهدة .إذن، فليس من المتعذر تاريخيا أن يكون دانتي قد اتصل برسالة الغفران و تأثر بها في كوميدياه .

1- دانتي: **الكوميديا الإلهية**، ترجمة: حسن عثمان، ص 62-68-72

الفصل الثالث

أثر رسالة الغفران في الكوميديا الإلهية

مقارنة بين غفران المعري و كوميديا دانتي :

" يُقال إنّ واقعة التّأثر تثبتُ بمجرّد رصد ملامح التّشابه التّفصيليّة التّي يُستبعد أن تقوم على الصّدفة، حتّى ولو لم نستطع كشف كيفيّة وطرق وقوع هذا التّأثير بالوضوح الكافي" (1) إنّ نظرة سريعة على الكوميديا، ولا سيّما في مضامين وصف الجحيم والجنّة تؤكّد مدى هذا التأثر؛ فإنّ "وصف الكوميديا للجحيم والجنّة كان متّفقا مع ما جاء في النّصوص الإسلاميّة حول ذلك الموضوع تمام الاتّفاق، ومخالفا لما جاء بالمسيحيّة من مفاهيم"(2) فأنّى لدانتي مثل هذا التّوافق في الوصف؟ إنّ كلّ ما ذُكر يسوقنا إلى تعليل منطقيّ واحد، ألا وهو أنّ دانتي كان مطّلعا بشكل واسع على الثّقافة الإسلاميّة، ولم يكن منجزة بما فيه من تشابهات في القصص والتّفاصيل مع الثّقافة الإسلاميّة مجرّد توارد خواطر، وتشابه قوالب؛ وحسبنا في هذا الصّدد أن لا يكون هناك مانع ماديّ أو تاريخيّ حاسم يحول دون إمكانيّة وقوع هذا التّأثير، أي أنّه ما دام التّأثير ممكنا، فإنّ براهينه تكمن حينئذ في تطابق المادّة وتناظر الأصول والتّفصيلات" (3)

البناء والشّكل : فمن حيث البناء والشّكل ؛ إذا طفقنا في المقارنة بين رسالة الغفران والكوميديا الإلهيّة وجدنا أنّنا أمام رحلة للعالم الآخر تتميّز بخلوّها من الخوارق باستثناء الفكرة الأساسيّة للرّحلة التّي تقع في نطاق الخوارق. والظّاهر من ما ذكر أنّ الرّسالتين تتشابهان في البناء والجوهر، ولكنّ هذا التّشابه قد يقلّ أو يزول أو يتنافر عندما تتوالى الصّور. أما تأثير المعري على دانتي ؛ فهو واضح وضوح الشمس من خلال الفكرة الرئيسة التي حملها دانتي في كوميدياه، فقد تشابه البناء الهيكلي للكوميديا مع البناء الهيكلي لرسالة الغفران، لدرجة التطابق، نجد المعري قد تجول في الجنة والنار عن طريق ابن القارح الذي كان أحد علماء عصره، بينما نجد دانتي يتجول مع فيرجيليو وهو مؤلف الإنياذة، وهو من العلماء، كما نجد دانتي يحاور الشعراء والأدباء والفلاسفة ويحاججهم ، تماما مثلما فعل المعري ، وقد حاججهم على لسان ابن القارح.

1-صلاح فضل: تأثير الثقافة الإسلامية في الكوميديا الإلهية لدانتي، ص70

2- نفس المصدر ص 52

3- نفس المصدر ص 70

صنف المعري الشعراء فأنزل بعضهم النار لشعر قد قاله في حياته أو أنزل آخر الجنة يستمتع بها لشعر قد قاله أو لحديث قاله الرسول (صلى الله غليه وسلم) مثلما حدث مع امرئ القيس حين وصفه الرسول (صلى الله غليه وسلم) بأنه يحمل لواء الشعراء في النار، ويفعل دانتي المثل عندما يصنف الأدباء والشعراء بعضهم في الفردوس والبعض الآخر في الجحيم بناء على عمل قاموا به فربط العقاب بمقدار الذنب الذي ارتكبه الشخص، ذكر المعري الملائكة والجن، وإبليس، وفعل دانتي المثل فذكر العماليق والحفرة العميقة وأصواتها التي تهتز لها الأبدان، كما أدخل المعري في رسالته وحواراته مع مختلف الشخصيات الأدبية والفلسفية مختلف العلوم اللغوية مثل النحو والصرف والعروض والسرقات والنحل والوضع؛ كما تطرق للعلوم الدينية والشرعية واعتمد في ذلك كله أسلوب الحوار والرمزية التي استخدمها بكل اقتدار و براعة قلَّ نظيرها وقد تناول دانتي نفس الأسلوب الرمزي وتطرق لمختلف العلوم وحاور رجال الكنيسة واختلف معهم وتحدث عن المنافقين تماما كما فعل المعري.
والجدير بالذّكر أنّ الكوميديا متناسقة البناء، مترابطة الأجزاء، يعتمد فيها السّابق على اللاّحق، وقد جعل دانتي الإنسان فيها مع الدّنيا والآخرة والعالم والله في بؤرة واحدة، كما ألغى فوارق الزّمان والمكان، ومزج بين الأسطورة والتّاريخ، وبين الواقع والخيال.

الأسلوب: أمّا من جهة الأسلوب فرسالة الغفران رسالة نثريّة تميزت بالغلوّ اللّغويّ، والبحث النّحويّ، وشيء من التّكلّف، وهي تعتمد على اقتباس كثير، واستشهاد كثير . واصطناع الأسلوب القصصيّ التّعليميّ الفكه محمولا على الخيال المبدع والسّخرية اللاّذعة، والاستقصاء الأدبيّ الجامع، هو أسلوبه في رسالة الغفران" والتّعقيد اللّغوي هو الميزة الأسلوبيّة للمعرّي في رسالته، وهذا ليس بالجديد عليه، فهو يُعدّ زعيم مذهب التّصنّع في زمنه (1) ولعل التّعقيد في اللّغة عند المعرّي قد يكون توجّها مقصودا؛ ليستر تحته ما يريد من غمر أو تهكّم أو سخرية .

1-دانتي: **الكوميديا الإلهية** ،الجحيم،المقدمة، ترجمة حسن عثمان، ص64

وفي رسالة الغفران معرض نادر الصّور في التّاريخ الفكريّ للسّخرية العقلية من العقول المرقّعة، والسّخرية جسر ممتدّ بين الواقع والمفترض، وبين المكانيّ الموحل، والزّمنيّ المصعّد " ولا شكّ أنّ هذه السّخرية هي مظهر من مظاهر النّقد التّي يسلك بها طريقا خفيّة و باطنة ؛ ليتجلّى موقفه من كثير من الأمور. "ذلك أنّ أبا العلاء يسلك في هذه الرّسالة إلى النّقد مسلكا خفيّا، لا تكاد تبلغه الظّنون" (2)

أمّا الشّعر فقد كان حاضرا في الرّسالة وهو يؤدّي أدوارا مهمّة في نسيج العمل، فمن جهة يقوم بوظيفة استعراضيّة للبطل تدعيما لبطولته القصصيّة، وإثباتا لتميّزه عن الأدباء الآخرين من أهل الجنّة كما أنّه مولّد للسّرد داخل كل المشاهد التّي قام عليها النّص كما انّه يستخدم للتّسلية واللّهو في مجالس الجنّة

صناعة في شعره، وكلماته دقيقة مختارة، وأسلوبه موجز مركّز (3)

والحقيقة أنّ تنوّع الأساليب وتداخلها ضمن النّسيج السّرديّ، جعل الكثير يحار في تجنيس الرّسالة، ففي حين اتّفق الجُلُّ على أنّها ليست رسالة بالمعنى الاصطلاحيّ، عدّها البعض قصّة في حين عدّها آخرون شكلا من أشكال الرّواية ونزعت طائفة ثالثة إلى إدراجها تحت فنّ المسرحيّة بسبب غناها بالحوار، والتّقسيمات إلى مشاهد .
أمّا الكوميديا الإلهيّة لدانتي فتعتمد على لغة دقيقة محدّدة، لا زخرف ولا كما أنّ دانتي يجعل شعره "فيّاضا بالحياة: بالمفاجأة، والاقتراب التّدريجيّ من الهدف، وبالضّوء، واللّون، والصّوت، والحركة، والحوار. واستخدم الاستعارة والتّشبيه والرّمز بفنّ عظيم. ولم يتّخذ رموزه من المعاني المجرّدة، بل من الأحياء الذّين يشعرون ويتكلّمون ويتحرّكون، ومن الحيوانات والنّباتات ومظاهر الطّبيعة" (4

والسّخرية تظهر بشكل واضح في الكوميديا، وقد تكون مبطّنة أو ظاهرة على السّطح، ولا سيّما "عندما يتعلّق الأمر بالباباوات الذّين حشرهم في الدّرك الأسفل من جهنّم، وكذلك عندما يتحدّث عن خصومه السّياسيّين، والحكّام الطّغاة" (5

1-شوقي ضيف: **الفن و مذاهبه في النثر العربي**،ص 280
2-طه : **تجديد ذكرى أبي العلاء** ،ص 221
2- دانتي: **الكوميديا الإلهية** ،**الجحيم**،المقدمة، ترجمة حسن عثمان، ص 66
4- نفس المصدر ص 66
5- نفس المصدر ص 665

الشّخصيّات :

والشّخصيّة المركزيّة في رسالة الغفران، وهي شخصيّة ابن القارح يستخدمها المعرّي ليجمع حولها الشّخصيّات الأخرى بسماتهم الإنسانيّة، وعقليّاتهم، ورواسبهم النّفسيّة (1) . والأمر ذاته في الكوميديا الإلهيّة حيث تلعب الشّخصيّة الرّئيسيّة، وهي شخصيّة دانتي نفسه دور الرّابط بين كلّ الشّخصيّات، إذ يمرّ بها جميعا، ويصفها، ويعرض أحوالها، وقد يناقشها، أو يسعد لمصيرها أيّا كان، أو يشمت بعذابها، أو يمطرها بوابل سخريته.

الغرض :

ليس لرسالة الغفران غاية رمزية بعيدة سوى الدعوة إلى التوبة، وأن الله سوف يتقبلها لأنه غفور رحيم .

أما في الكوميديا الإلهية لدانتي لها غاية رمزية ، على المستوى الشخصي لكل إنسان، وعلى المستوى الاجتماعي والسياسي العام، فهو يريد أن يقول: فلورنسا يجب أن تعاقب المنحرفين فيها من كل الطبقات حتى نتمكن من التطهر وارتقاء سلم المجد (2) الغرض الرئيسي من رسالة أبي العلاء هو غرض ذاتي هو إجراء لون من ألوان النقد الأدبي واللغوي ،بالإضافة إلى هدف آخر ثانوي هو مقاومة الفكرة السائدة لدى العلماء في عصره، الذين يضيقون فسحة الدين، واستبدلها بفكرة أخرى وهي أن رحمة الله وسعت كل شيء . (3

أما في الكوميديا الإلهية فهي مساحة تتسع للأسطورة والكون والوجود ، ولا تقتصر على الأفكار اللغوية والأدبية بل تشمل جملة معارف كما أنها جمعت بين الشعر والخيال والفلسفة والواقع ، كل ذلك في جو إنساني رفيع سجل به ماتحس به الإنسانية من طموح و يأس وشقاء و اضطراب، وألم و ندم.

-1 دانتي: **الكوميديا الإلهية** ،المقدمة، ترجمة حنا عبود ، ص 14

-2 المعري: **رسالة الغفران** تحقيق عائشة عبد الرحمن ص341-395

-3 صلاح فضل: **تأثير الثقافة الإسلامية في الكوميديا الإلهية** لدانتي، ص 73

ملامح التطابق قي الشبه بين الكوميديا و الغفران :

وإلى جانب الملامح العامّة السّابقة نستطيع أن نلمح صورا من التّشابه إلى درجة التّطابق بين الكوميديا والغفران، نذكر منها على سبيل الذّكر لا الحصر:

من قبيل هذا النّوع من التّشابه لقاء ابن القارح بآدم عليه السّلام في الجنّة؛ حيث نرى أنّ موضوع الحديث الرّئيسيّ بينهما هو اللّغة الفطريّة الأولى التّي كان يتحدّث بها أبو البشر؛ فيقول آدم: "إنّما كنتُ أتكلّم بالعربيّة وأنا في الجنّة، فلمّا هبطتُ إلى الأرض نُقل لساني إلى السّريانيّة فلم أنطق بغيرها إلى أن هلكتُ. فلمّا ردّني الله سبحانه إلى الجنّة عادت عليّ العربيّة"

كذلك يلتقي دانتي في السّماء الثّامنة بآدم، حيث يكون موضوع الحوار الرّئيسيّ بينهما هو أيضا اللّغة التّي كان يتحدّث بها أبو البشر خلال إقامته في جنّة الأرض (1). هذا مع اختلاف اللّغات التّي ذكرها المعرّي بطبيعة الحال.

وعندما يعود ابن القارح من الجحيم تلقاه الحوريّة المكلّفة بخدمته، فتلومه برقّة على تأخّره، وتصحبه في نزهة في حدائق الجنان. وهذا نفس ما تفعله الحسناء (ماتيلدا) مع دانتي حيث تلقاه باسمة عاتبة عند دخوله غابة الفردوس الأرضيّ، وتجيب على أسئلته بلطف ومهارة، ويمضي في نزهته معها حتّى تقع عيناه على كوكبة من الحسان اللاّتي يحطن بحبيبته (بياتريس) وهي تهبط من السّماء للقائه (2) كما وقعت عينا ابن القارح من قبله على كوكبة مماثلة من الحوريّات وهنّ يُحطن بحبيبة امرئ القيس التّي خلّد ذكرها في شعره ((3

1- أبو العلاء المعري: **رسالة الغفران**، تحقيق عائشة عبد الرحمن، ص361

2-دانتي: **الكوميديا الإلهية،الفردوس**،ت حسن عثمان،النشيد 26، أبيات 79-91

3- رسالة الغفران مرجع سابق ص 373

آراء المستشرقين والنقاد العرب حول تأثر دانتي بالثقافة الإسلامية :

اختلفت الآراء وتضاربت المزاعم كلّ التّضارب في ما يخصّ الأصول المشرقيّة والإسلاميّة للكوميديا الإلهيّة، وعلاقتها برسالة الغفران للمعرّي .
ومن فضول القول أنْ نذكر أنّ الحكم في هذا الأمر وتبيّن حقائقه وأبعاده يدفعنا إلى أن نستعرض آراء الباحثين الذّين رأوا أن الكوميديا الإلهيّة فيها آثار شرقيّة إسلاميّة، مرورا بآراء أولئك المفنّدين لهذا القول، وصولا إلى بناء رأي خاصّ، نركن إليه ونتبنّاه في هذه المسألة .وهذا التّشابه البيّن في الفكرة في الأثرين، فضلا عن التّشابهات في الجزيئات أزجى السّاحة النّقديّة في معترك الذّين ادّعوا صلة الملحمة بالآثار الشّرقيّة، والذّين فنّدوا هذا الرّأي. وقد تعرّض الكثير من الدّارسين والباحثين إلى هذه المسألة في القرن التّاسع عشر بصورة جزئيّة ، إلاّ أنّ الدّراسات المفصّلة المنهجيّة قد ظهرت في هذا المجال في أوّل القرن العشرين بكتاب المؤرّخ الفرنسيّ (أ. بلوشيه) وهو (المصادر الشّرقيّة للكوميديا الإلهيّة) المنشور سنة 1901م.
ويرى بلوشيه في كتابه هذا أنّ دانتي قد تأثّر في ملحمته بكتابين منفصلين عن قصّة المعراج، كانا موجودين في الشّرق، وقد كتبا منفصلين في فارس، كتب الأوّل كاتب مزدكيّ في عصر غير محدّد، والآخر كُتب في معراج النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- في حدود القرن الهجريّ الثّاني (1)

من ثم جاء المستشرق الإسبانيّ القسّ (ميجيل آسين بلاثيوس) ليعلن في كتابه المشهور (فكرة الحشر والنّشر الإسلاميّة في الكوميديا الإلهيّة لدانتي) أنّ للكوميديا الإلهيّة جذور إسلاميّة واضحة وبيّنة، بل تكاد في بعض أجزائها تقوم على تلك الجذور (2) وقد ذكر (بللور) كذلك أنّ الكوميديا الإلهيّة والمفاهيم الشّعريّة لحياة ما وراء القبر المنبثقة من المسيحيّة قد تأثّرت بالأدب الإسلاميّ، وأنّ دانتي قد تأثّر بها .

وفي سنة 1950 أسهم المستشرق الإيطالي (فرانسيسكو كابريّلي) في المناقشات التّي دارت بين الباحثين بصدد المسألة التّي أثارها المستشرق الإسبانيّ (ميغيل آسين بلاثيوس)،

1- انظر: عبد المطلب صالح: **دانتي ومصادره العربية والإسلامية**، ط1، منشورات وزارة الثقافة والفنون، بغداد، 1978، ص 5-22
2- صلاح فضل: **تأثير الثقافة الإسلامية في الكوميديا الإلهية لدانتي**، ص 38- 42

وهي مسألة العلاقة بين ملحمة الكوميديا الإلهيّة لدانتي والمصادر الشّرقيّة الإسلاميّة، وقد ضمّ رأيه بعد دراسة وتحليل إلى رأي بلاثيوس
وقد تأكّدت مسألة تأثّر دانتي بالتّراث الإسلاميّ بعد أن قام المستشرق الإسبانيّ (ساندينو) والمستشرق الإيطاليّ (إنريكو تشيرولي) بنشر التّرجمات اللاّتينيّة والفرنسيّة لوثيقة معراج محمّد في نفس الوقت دون اتّفاق مسبق عام 1949م. وعُدّت هذه الوثيقة هي الدّليل الحاسم الذّي كان ينقص نظريّة (بلاثيوس) في تأثير التّراث الإسلاميّ على دانتي، وعرف العالم من هذه الوثيقة أنّ ملك إسبانيا ألفونسو العاشر أو المعروف بالعالم أو الحكيم كان قد أمر طبيبا يهوديّا يعمل في بلاطه، ويُدعى (أبراهام الحكيم) بترجمة قصّة المعراج الإسلاميّة من العربيّة إلى الإسبانيّة عام 1263م، وأنّ هذه التّرجمة كانت أصلا لترجمة أخرى إلى اللاّتينيّة والفرنسيّة قام بها مترجم وموثّق إيطاليّ كان يعمل في نفس البلاط، وهو (بوينافينتورا دى سينا) في العام التّالي، أي في عام 1262 م، أي قبل أن يُولد دانتي بسنة واحدة (1)

وقد أثبت المستشرق الإيطاليّ (تشيرولي) أنّ أجزاء من هذه التّرجمات قد دخلت في كثير من مجموعات المخطوطات التّي انتشرت في أوروبا عامّة، ولا سيّما في إيطاليا في هذه الفترة، وأنّها كانت كفيلة بشيوع قصّة الإسراء والمعراج في جميع الأوساط الثّقافيّة الأوروبيّة في عهد دانتي (2)

وقد انتصر الكثير من الباحثين العرب لفرضيّة الجذور الإسلاميّة لملحمة دانتي، ومنهم عفاف بيضون في كتابها (بين المعرّي ودانتي)، التّي قالت بتأثّر دانتي برسالة الغفران، وعزت طريقة ذلك التّأثر إلى :

-1 عبد المطلب صالح: **دانتي ومصادره العربية والإسلامية**، ص 33 - 35

-2 صلاح فضل: **تأثير الثقافة الإسلامية في الكوميديا الإلهية لدانتي**، ص 38

أوّلا: أنّ عدد المعلّمين الذّين كانوا يدرّسون اللّغة العربيّة، ويترجمون منها إلى اللاّتينيّة كان كثيرا في المدارس الإيطاليّة .

ثانيا: أنّ معلّم دانتي كان قد أُرسل سفيرا في بلاط ألفونسو العاشر، وقد درس اللّغة العربيّة هناك، وعندما رجع إلى إيطاليا ألّف كتابا تكلّم فيه عن النّبيّ العربيّ . (1) ويبيّن عمر فرّوخ رأيه في مسألة العلاقة بين دانتي والمصادر العربيّة، فيتأرجح بين موقفين أوّلهما: أنّ دانتي متأثّر برسالة الغفران، وثانيهما تأثّره بقصّة المعراج بأسلوب تميّز بالطّابع الإنشائيّ. ثمّ يقول: "يقترب دانتي من لزوميّات المعرّي، ولكنّه اهتمّ بكتابه المشهور رسالة الغفران، وبنى عليه ملحمته المشهورة (الكوميديا الإلهيّة)" وذلك من دون أن يثبت الصّلة التّاريخيّة بين المعرّي ودانتي، ثمّ يقول في موضع آخر: "رسالة الغفران تنتزع من دانتي فضل السّبق إلى موضوعه" (2) وأمّا جلال مظهر في كتابه (مآثر العرب على الحضارة الأوروبيّة ومحمّد غنيمي هلال في كتابه (الأدب المقارن) فقد ذهبا إلى ما ذهب إليه بلاثيوس من تأثّر دانتي بالمصادر العربيّة الإسلاميّة وفي ذلك يقول محمّد غنيمي هلال: "تأثّر دانته في الكوميديا الإلهيّة بمصادر عربيّة" (3)

أمّا لويس عوض فهو يطرح في كتابه (على هامش الغفران) السّؤال التّالي: "هل اعتمد دانتي في الكوميديا الإلهيّة على ما تعلّمه من قصّة المعراج وحدها، أو أنّه كان على علم أيضا برسالة الغفران" وهو مقتنع تماما بأنّ دانتي قد تأثّر بقصّة المعراج أوّلا، ثمّ يرجّح أنّ رسالة الغفران للمعرّي كانت في متناول يديّ دانتي، وقد قرأها عن ترجمة لاتينيّة ضائعة، ويعزو ترجيحه هذا إلى "أنّ أوجه الشّبه بينها وبين الكوميديا الإلهيّة أوضح ما يمكن أن يُنسب إلى محض الصّدفة أو توارد الخواطر بين الشّعراء" (4)

-1 عبد المطلب صالح: **دانتي ومصادره العربية والإسلامية** ص481 -45

2- عمر فروخ، **حكيم المعرة**، ط1، دار الكشاف، بيروت، 1948، ص 120- 124

-3ينظر: محمد غنيمي هلال، **الأدب المقارن**، ص 149- 1593

4- لويس عوض ، **على هامش الغفران**، ص 141- 142

أمّا عبد الرّحمن بدوي فيبدو أنّه قد ثبت عنده أنّ كوميديا الإلهيّة متأثّرة بالمصادر الإسلاميّة، فهو يقول: "وإذا أردنا تلخيص الموقف قُلت إنّ مسألة المصادر الإسلاميّة للكوميديا الإلهيّة تتعلّق خصوصا بكتاب المعراج وبالمجموعة الطُّليطليّة، وبسائر الأخبار الأوروبيّة عن الأخرويّات الإسلاميّة، أي أنّ المسألة تتعلّق بكتب عربيّة غير علميّة دخلت في الثّروة الثّقافيّة لأوروبا في القرنين الثّاني عشر والثّالث عشر عن طريق إسبانيا" . ويدعم عبد الرّحمن بدوي هذا الاعتقاد الذّي خلُص إليه بأدلّة وبراهين يستنبطها من آراء (ساندينو) وتحقيقات (تشيروللي) و (انريكو) ويذهب داود سلّوم في دراسته المقارنة بين الكوميديا الإلهيّة ومصادر التّراث الإسلاميّ إلى أنّ هناك وجود علائق واضحة بينهما، وذلك على ضوء استخلاصه لمجموعة من التّأثيرات الشّرقيّة في الملحمة والتّي عنونها تحت العناوين التّالية: الأثر القرآني المباشر، أثر التّصوّف الإسلاميّ، الأثر التّاريخيّ، الأثر الإسلاميّ العام، أثر الحديث النّبويّ، أثر بعض الأعمال الأدبيّة مثل رسالة الغفران (1)

وفي إزاء كلّ ما ذُكر من آراء تدعم نظريّة تأثّر الكوميديا الإلهيّة بالمصادر الشّرقيّة الإسلاميّة، لا نعدم أصواتا تستنكر هذا التّأثر، وترفض هذه النّظريّة جملة وتفصيلا. ومن الذّين رفضوا هذه النّظريّة المستشرق الإيطاليّ غابرييلي، ومازوني، وراجنا. ففي حين يقبل كلّ منهم فكرة وجود بعض التّشابه بين النّصوص الإسلاميّة والكوميديا الإلهيّة، فإنّهم يرفضون كلّ الرّفض أن يكون ذلك الشّبه مردّه اطّلاع دانتي على الثّقافة الإسلاميّة، وتأثّره بها، وفي الوقت نفسه يخفقون في وضع نظريّة بديلة قادرة على تفسير هذه التّشابهات (2).

كما "أنّ أصحاب هذا الرّأي يضعون أنفسهم في موقف أبعد ما يكون عن إمكانيّة التّبرير، حينما يقبلون بتأثيرات الكتاب المقدّس والمصادر الكلاسيكيّة في الكوميديا الإلهيّة، ولا يرون فيها عناصر تمسّ قدرة الخلق والإبداع عند دانتي، في حين يرون أن تقليده للمصادر الإسلاميّة بطريقة فنيّة فيها حريّة، ينتقص من قدراته الإبداعيّة" .

-1 ينظر: صلاح فضل: **تأثير الثقافة الإسلامية في الكوميديا الإلهية لدانتي**، ص 39- 51

-2ينظر: محمد غنيمي هلال، **الأدب المقارن**، ص 153

وفي ضوء ما سبق فإنّه من الممكن بسهولة قبول الافتراض القائل إنّ دانتي قلّد المسلمين في عمله كما قلّد الكلاسيكيّين، وكما قلّد الكتاب المقدّس، دون أن ينال ذلك من عظمة إبداعه، بل على العكس، إنّ اطّلاعه على العلوم الإسلاميّة يدل على عبقريتّه العالميّة، إنّه لمن الخطأ أن نجهد أنفسنا لتنفي عن دانتي اطّلاعه على المعراج، بل إنّ ثبوت تأثّر دانتي بالثّقافة العربيّة الإسلاميّة، ودانتي هو الّذي تدين له الآداب الأوروبيّة في العصر الوسيط بالشّيء الكثير "يوضّح لنا مدى اتّصال التّراث الإنسانيّ، وتشابك علاقاته، ممّا يدعونا لأن نكون أكثر حرية في الأخذ من هذا التّراث اليوم دون أدنى حساسيّة .

عوامل التأثير العربي الإسلامي على أوروبا القرون الوسطى :

ازدهرت الحضارة العربية الإسلامية طوال عدة قرون وكان من مآثرها أن انتشرت في أنحاء العالم، فقد بلغت درجة كبيرة من التقدم في وقت كانت فيه أوروبا تفتقر إلى ما وصل إليه المسلمون من مدنية .

لقد انتشرت الثقافة العربية الإسلامية قي العالم العربي و نهل علماء أوروبا من المصادر الغربية الأصيلة ووجدوا أنها تراث علمي عظيم فاشتغلوا بدراسته وتحليله.

من القرن الحادي عشر إلى القرن الثالث عشر، نهلت أوروبا المعرفة من الحضارة الإسلامية حيث كانت نقاط التواصل بين أوروبا والأراضي الإسلامية متعددة، فقد انتقلت المعارف الإسلامية بكثافة إلى أوروبا،و رحل العديد من المسيحيين إلى الأراضي الإسلامية لطلب العلم، ودرس العديد من الطلبة الأوروبيين في مراكز العلم الإسلامية لدراسة الطب والفلسفة والرياضيات والعلوم الأخرى .

"لقد أنعش المسلمون أوروبا معرفيًا وثقافيًا، وكانت نقاط التواصل بين أوروبا والدول الإسلامية عديدة، فأغلب العلوم التي عمل عليها المسلمون وطوروها انتقلت إلى أوروبا ففي العصور الإسلامية ازدادت الاتصالات وتعددت المنابر التي عبرت عليها حضارة المسلمين في طريقها إلى أوروبا، والتي من أهمها : الحروب الصليبية، وصقلية، والأندلس، وحركات الترجمة" (1)

وكانت الفتوحات الإسلامية في أوروبا الخطوة الأولى نحو بناء منظومة حضارية جديدة في بلاد كل ما فيها خام جديد صالح للبداية والبناء والعمران، فقد مثّل العرب إمبراطورية كانت تنتقل صعودًا بمستوى أعلى من الثقافة والحضارة على مدى قرنين متتاليين وكانت مساهمات المسلمين في أوروبا العصور الوسطى متعددة، وأثرت على مجالات مختلفة

1- طه الندا: **الأدب المقارن**، ط1، دار المعارف الجامعية، مصر، 1987، ص 251

لقد ساعدت عدة عوامل على انتقال التأثير الحضاري للشرق نحو الغرب من بينها مجموعة من المنافذ كالأندلس وصقلية وجنوب إيطاليا ،إضافة إلى الشام بسبب الحروب الصليبية،وكذا حركة الترجمة التي ساهمت في نقل الإرث الحضاري الكلاسيكي اليوناني والروماني و الفارسي إلى العربية ثم إلى اللاتينية.

عندما نبدأ في تحديد الطرائق التي وصلت من خلالها هذه العناصر الثقافية الإسلامية إلى دانتي ينبغي أن لا نغفل الإشارة إلى جملة مظاهر الاحتكاك الحضاري العام بين أوروبا والعالم الإسلامي، وفي مقدمتها الحركة التجارية المكثفة التي أخذت ابتداء من القرن الثامن الميلادي تنشط بين أوروبا و مختلف المناطق الإسلامية في إسبانيا وشمال إفريقيا وسوريا ومصر والشرق الأقصى.(1)

ولما كانت الترجمة هي الوسيلة الكبرى لانتقال التراث الإسلامي عامة، إلى العالم الغربي وكانت الوسيلة التي اطلع دانتي عن طريقها على الثقافة الإسلامية إذ علينا أن نبرز الدور الذي قامت به الأندلس في هذا الصدد بشكل منقطع النظير في تاريخ العصور الوسطى .

مدرسة الترجمة في طليطلة:

كانت طليطلة تحتوي على مزيج من التراث الشرقي والغربي، فكانت مركزا تشع منه الثقافة العربية الإسلامية و الكلاسيكية اليونانية والإغريقية إلى باقي أنحاء إسبانيا ثم إلى أوروبا، وقد عثر الأوروبيون بها على عدد معتبرا من المراجع العربية في مختلف العلوم والفنون، فهرعوا إليها لترجمتها والاستفادة منها اشتهرت طليطلة بمدرستها وهي أكبر مدرسة للترجمة في العصور الوسطى فقد كان لها الدور الأساسي في عملية نقل التراث الثري نحو الغرب المسيحي، وكان أول ما اهتم به المترجمون هو ترجمة العلوم العربية المنقولة عن العلوم اليونانية، ثم بعد ذلك إلى نقل الآثار العربية الأصلية (2)و لقد اشتركت في هذه العملية كوكبة من رجال الفكر و العلم من داخل الأندلس وخارجها لمعت أسماء عديدة، كان منهم المستعربون واليهود، و الذين وضعوا جل اهتمامهم في نقل المعارف العربية و ترجمتها .

1- صلاح فضل ص 53

2- فطيمة **مطهري التواصل الفكري والعلمي بين الشرق الإسلامي والغرب المسيحي** ودور الترجمة في نقل التراث الكلاسيكي والإسلامي إلى أوروبا مجلة الفكر المتوسطي المجلد 08 / العدد: 02/ 2020

وكان من أهمهم و أشهرهم الاسكتلندي ميخائيل سكوت الذي ترجم أعمال أرسطو وشروح ابن رشد عام 1230م كما ترجم القرآن الكريم إلى اللاتينية، إضافة إلى حادثة الإسراء والمعراج التي انتشرت في اسبانيا وايطاليا منذ القرن 13 ميلادي وقد استفاد منها في دانتي الكوميديا الإلهية عن طريق أستاذه برونيتو لاتيني الذي كان يتردد على باليرمو و طليطلة في عهد ألفونسو الحكيم . (1) ومن الثابت تاريخيا أن لاتيني كان أستاذا لدانتي ومعلمه الأول، وأن العناصر العربية التي تمثلت في كتابه (الكنز) كانت من أشد ما لفت دانتي إلى الثقافة العربية والإسلامية. (2)حيث كان المبعوث الدبلوماسي الإيطالي لدى البلاط الأموي بقرطبة آنذاك وجدير بالإشارة ذكر أن برونيتو لاتيني كان من أهم الأسماء التي أشار إليها دانتي في كوميدياه الإلهية معتبرا إياه من كبار أساتذته الذين أفادوه بخبراتهم الكبيرة في الأدب .

وهكذا كانت قنوات التوصيل بهذا القدر من الاتساع والتعدد وتضافرت جميع العوامل لتهيئة المناخ الملائم للتأثير أو التأثر.

1- فطيمة مطهري. مجلة الفكر المتوسطي .مرجع سابق

2- صلاح فضل 64

الخاتمة :

مما تقدم عرضه يمكننا استنتاج جملة من المظاهر تبرز تأثير الشرق الإسلامي في الغرب المسيحي، والأدب من أهم ميادين هذا التأثر، فالحضارة العربية الإسلامية قامت بدور فعال في تحقيق التواصل بين الحضارات حيث تأثرت بالحضارات التي سبقتها كاليونانية واللاتينية ثم أثرت في الحضارات التي تلتها ومنها الأوروبية. فكانت بمثابة الوسيط في نقل وإيصال التراث العربي واليوناني إلى أوروبا.

بصفة عامة يمكن القول أن الأشكال الأدبية المتنوعة تدعم بعضها البعض عبر التواصل بطرق شتى مما يخلق نوعا من التأثير والتأثر ينتج عنه عصارة إبداعية تجمع بين أصالة فكرة العمل الأصلي وبين تجديد و معاصرة بيئة وزمن العمل المتأثر وفي ضوء ما سبق فإنه من الممكن بسهولة قبول الافتراض القائل أن دانتي قلد المسلمين في عمله كما قلد الكلاسيكيين وكما قلد الكتاب المقدس، دون أن ينال ذلك من عظمة رائعته الخالدة بل على العكس ، إن اطلاعه على العلوم الإسلامية يدل على عبقريته العلمية

ورغم تضارب الآراء حول تأثر دانتي بالتراث العربي الإسلامي أو غيره فإن الرأي الراجح بالقبول هو أن أبا العلاء المعري ودانتي قد تأثرا دون شك بنفس المصادر وكلاهما قد استقيا بشكل واضح من نفس الموارد في بنائهما القصصي، على رأسها مورد قصة الإسراء والمعراج . وهذا ما يفسر التشابه الواضح بين أفكار وحوارات و شخصيات وأحداث عملين شهد لهما بالعظمة . فكلاهما بنى تحفته الإبداعية على نفس الأساس ونفس الخلفية (قصة معراج النبي و تراث الآداب الكلاسيكية و الآداب العربية الإسلامية.

وهكذا نجد سلسلة من التأثير والتأثر التي بدأت من هوميروس وملحمة (الأوديسة) ثم جاء دور(كوميديا الضفادع) لأرسطو فانيس بعد ذلك جاءت قصة الإسراء والمعراج ثم بعد ذلك زودنا المعري بتحفته (رسالة الغفران) وبعدها جحيم دانتي في (الكوميديا الإلهية) وإن كانت كل هذه الأعمال الخالدة شهد لها بالعظمة وكانت مثالا خصبا للتأثر بما قبلها من إبداعات والتأثير فيما بعد، إلا أنها ليست إعادة اجترار بل منجزات إبداعية استطاعت أن تستفيد من التراث القديم و تجدده بلمسه ذاتية خاصة تميزه و تعظمه .

قائمة المصادر والمراجع :

- القرآن الكريم

1. ابن الأثير ، **الكامل في التاريخ** -عصر أبي العلاء محقق:أبو الفداء القاضي دار الكتب العلمية ط1 1987

2. ابن خلكان ، **وفيات الأعيان في أنباء أبناء الزمان** ، المجلد الأول

3. ابن عربي ، **الفتوحات المكية** ، ج2 ، الفصل 167

4. ابن عربي ، **لطائف الأسرار** ، تحقيق أحمد زكي عطية و طه عبد الباقي سرور ، دار القلم العربي ، 1961، مقدمة المحقق

5. ابن فضل الله العمري **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، تحقيق: كامل الجبوري، دار الكتب العلمية، ط1، 2010

6. ابن منظور ، **لسان العرب** ، دار صادر ، بيروت ،(2010)

7. أبو العلاء المعري ، **سقط الزند** ، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت 1957

8. أبي العلاء المعري **رسالة الغفران** ، عائشة عبد الرحمن ، ط9، دار المعارف، القاهرة ،1977

9. أحمد أمين، **ظهر الإسلام** ج3، دار الكتاب العربي، بيروت، 1953

10. البيومي السباعي ، **في رسالة الغفران لأبي العلاء** ، صحيفة دار العلوم ، العدد 3 ، السنة WWW.NOORMAGS.COM 194812

11. حساني شريف نجيب ، **رسالة الغفران للمعري** ، قراءة تأويلية ، مذكرة مقدمة لنيل درجة ماجستير في النقد الأدبي ، جامعة بسكرة ، (2012)

12. رمضان صالح الرسائل الأدبية ودورها في تطور النثر القديم دار الفارابي بيروت

13. دانتي : **الكوميديا الإلهية** ، ترجمة حنا عبود مقدمة ، ط1 ، وزارة الإعلام ، دمشق ، 2002

14. دانتي: **الكوميديا الإلهية الجحيم** ترجمة حسن عثمان ، ط2 ، دار المعارف ، القاهرة ، 2002

15. دانتي ، **الكوميديا الإلهية المطهر**،دار المعارف ، مصر 1964

16. دانتي ، **الكوميديا الإلهية الفردوس** ،دار المعارف ، مصر

17. **رسائل أبي العلاء المعري** ، طبعة أكسفورد

18. سمير الجندي، **الإبداع عند المعري في رسالة الغفران**، دنيا الوطن، القدس، 2009

19. سناء شعلان ، **مقاربة بين رسالة الغفران للمعري والكوميديا الإلهية لدانتي** ، مجلة عود الند ، عدد 22 ، 2008

20. سيد حسين العفافي ، **الجزاء من حسن العمل** ، ج1 ، مكتبة ابن تيمية ، ط2 ، 1996

21. شوقي ضيف ، **الفن ومذاهبه في النثر العربي** ، دار المعارف ، مصر ، ط1

22. صلاح فضل ، **تأثير الثقافة الإسلامية في كوميديا دانتي** ، ط2 ، مؤسسة شباب الجامعة ، مصر 1985

23. طه الندا: **الأدب المقارن**، ط1، دار المعارف الجامعية، مصر، 1987

24. طه حسين ، **آثار أبي العلاء المعري** ، مقدمة تعريف القدماء بأبي العلاء 1965 ، دار القومية ، القاهرة

25. طه حسين وآخرون ، **تعريف القدماء بأبي العلاء** ، ط1 ، الهيئة العامة للكتاب ، 1986

26. عائشة عبد الرحمن ، **مع أبي العلاء في رحلة حياته** ، دار الكتاب العربي، ص 175

27. عباس محمود العقاد،**أثر العرب في الحضارة الأوروبية**،دار المعارف، القاهرة، ط 4 (1965)

28. عبد القادر محمود، **رحلة إلى الدار الآخرة**، مركز الكتاب للنشر، القاهرة، ط1، 1997

29. عبد المطلب صالح ، دانتي **ومصادره العربية والإسلامية** ، الموسوعة الصغيرة ، ط1 ، منشورات وزارة الثقافة والفنون ، بغداد 1978

30. عبد المطلب صالح: **دانتي ومصادره العربية والإسلامية**، ط1، منشورات وزارة الثقافة والفنون، بغداد، 1978

31. عبده عبود ، **الأدب المقارن** :مشكلة آفاق ، دمشق ، اتحاد الكتاب العرب (1999)

32. عمر فروخ ، **تاريخ الأدب العربي** ، ج3 ، دار العلم للملايين ، بيروت لبنان

33. عمر فروخ، **حكيم المعرة**، ط1، دار الكشاف، بيروت،

34. فخري أبو السعود، مجلة الرسالة، العدد 186 ،1937 www.alamtologia.com

35. مجلة الفكر المتوسطي المجلد 08 2020

36. مجلة ثقافتنا للدراسات والبحوث، ، كلية الآداب، جامعة آل البيت، الأردن، ، 2010

37. مجلة كلية التربية للبنات ، مجلد 28 ، العدد4 ، الجامعة العراقية ، 2017

38. محمد الخالدي ، **الإبداع والتجربة الروحية** : رؤية مغايرة ، كتاب الجمهورية

39. محمد رمضان الجبري ، **الأدب المقارن** ، ط1 ، منشورات ELGA ، مالطا ، 2002

40. محمد سليم الجندي ، **الجامع في أخبار أبي العلاء المعري** دار صادر ، بيروت ، ط2 ، 1992

41. محمد غنيمي هلال ، **الأدب المقارن** ، بيروت ، دار العودة ، ط 3 (1978)

42. المعري ، **رسالة الغفران** ، شرح مفيد قميحة ، بيروت ، منشورات دار ومكتبة الهلال ، 1986

43. المعري **اللزوميات**،تحقيق :عبد العزيز بن أمين دار الهلال ، بيروت

44. ياقوت الحموي **معجم الأدباء ، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب** ، ج1 ،تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1993

45. يوسف بكار وخليل الشيخ ، **الأدب المقارن** ، الشركة العربية المتحدة للتسويق والتوريدات ، (2010)

46. سناء كامل شعلان ، **التعالق النصي بين كوميديا دانتي وغفران أبي العلاء المعري** ، مجلة آداب الفراهيدي ، العدد 5 ، 2010

47. مجلة التراث العربي ،دراسات في أدب المعري و نقده ، عدد 126 ، سنة 2012

فهرس المحتويات :

إهداء

المقدمة ..... ا-ب

الفصل الأول: أبو العلاء المعري حياته وأدبه

مدخل 1

حياته ونشأته 5

مؤلفاته 13

عصره 15

وقفة تعريفية برسالة الغفران 18

تناصات ومصادر المعري في رسالته 23

المصادر اليونانية 24

اثر قصة الإسراء والمعراج 25

اثر التوابع والزوابع 27

الفصل الثاني: دانتي أليغييري حياته وأدبه

حياته ونشأته 31

عصره 33

مؤلفاته..... 35

وقفة تعريفية بالكوميديا الإلهية 36

مصادر تأثر دانتي في كوميدياه 41

اثر الإلياذة والأوديسة لهوميروس 42

اثر الإنياذة لفرجيليوس 43

اثر الإسراء والمعراج 44

اثر رسائل ابن عربي 47

اثر رسالة الغفران 49

الفصل الثالث: أثر رسالة الغفران في الكوميديا الإلهية

مقارنة بين رسالة الغفران و الكوميديا الإلهية 52

ملامح التطابق في الشبه بين الكوميديا والغفران 56
آراء المستشرقين والنقاد العرب في الأثر الإسلامي للكوميديا الإلهية 57
عوامل التأثير الغربي الإسلامي على أوروبا القرون الوسطى 61
مدرسة الترجمة في طليطلة 62

الخاتمة .....
64

قائمة المصادر و المراجع .....
68

ملخص:

بصفة عامة يمكن القول أن الأشكال الأدبية المتنوعة تدعم بعضها البعض عبر التواصل بطرق شتى مما يخلق نوعا من التأثير والتأثر ينتج عنه عصارة إبداعية تجمع بين أصالة العمل الأصلي وبين تجديد و معاصرة بيئة وزمن العمل المتأثر.
ورغم تضارب الآراء حول تأثر دانتي بالتراث العربي الإسلامي أو غيره فإن الرأي الراجح بالقبول هو أن أبا العلاء المعري ودانتي قد تأثرا دون شك بنفس المصادر وكلاهما قد استقيا بشكل واضح من نفس الموارد في بنائهما القصصي، على رأسها مورد قصة الإسراء والمعراج . وهذا ما يفسر التشابه الواضح بين أفكار وحوارات و شخصيات وأحداث عملين شهد لهما بالعظمة . فكلاهما بنى تحفته الإبداعية على نفس الأساس ونفس الخلفية (قصة معراج النبي و تراث الآداب الكلاسيكية و الآداب العربية الإسلامية.
تأثر دانتي بمصادر عربية في كتابة الكوميديا الإلهية استنادا إلى بحوث غربية شرحت مصادر دانتي العربية في ملحمته ، ومن أهمها ذلك المجلد الكبير الذي كتبه القس الأسباني ميغيل آسين بلاثيوس في مدريد عام 1919 ، وشرح فيه مصادر دانتي العربية ، وكيف تأثر مباشرة بالإسراء والمعراج ، وشرح كيف أفاد دانتي من مصادر عربية أخرى مثل " الفتوحات المكية " لمحي الدين بن عربي ، و "رسالة الغفران" للمعري .وقد سعى من خلال هذا الكتاب إلى إثبات العلاقة الوثيقة بين كوميديا دانتي والأدب الإسلامي عموما ، الديني وغير الديني .و تضافرت عدة عوامل لتهيئة المناخ الملائم للتأثير أو التأثر فقد كانت قنوات التوصيل على قدر كبير من الاتساع والتعدد.وإن كانت كل هذه الأعمال الخالدة شهد لها بالعظمة وكانت مثالا خصبا للتأثر بما قبلها من إبداعات والتأثير فيما بعد، إلا أنها ليست إعادة اجترار بل منجزات إبداعية استطاعت أن تستفيد من التراث القديم و تجدده بلمسه ذاتية خاصة تميزه .

الكلمات المفتاحية:
التأثير، التأثر، الكوميديا، التراث الإسلامي